المرحلة :الأولى **المادة : تاريخ الشرق الأدنى القديم (مصر وبلاد الشام)**

الفصل : الثاني **عدد الساعات: ٢**

مفردات المنهج

الخلفية الجغرافية لحضارة وادي النيل :

العصور الحجرية (عصور ماقبل التاريخ)

العصر الحجري القديم

العصر الحجري الحديث

العصر الحجري المعدني

المملكة القديمة (السلالات ١-٦) ٢٨٥٠-٢٠٥٢ ق ٠م

موجز الخصائص الحضارية :

١- الاهرام ٢- الادارة ٣- الخط الهيرو غليفي

٤- التحنيط

المملكة الوسطى ٢٠٠٠- ١٧٨٧ ق٠م

الاسرة الثانية عشرة

عهد الفوضى (الاقطاع)

الهكسوس (السلالة ١٤-١٦)

- الاضافات الحضارية للهكسوس

المملكة الحديثة ١٥٧٠- ١٢٥٠ ق٠م

قيام المملكة الحديثة واشهر ملوكها .

ثورة اخناتون الدينية

توت عنخ امون

موجز الخصائص الحضارية .

الخلفية جغرافية لحضارة سوريا القديمة

الكنعانيون والفينقيون

العبرانيون

المراجع المعتمدة : مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة / طه باقر .

دراسات في الشرق الادنى القديم / سامي سعيد الاحمد .

مدرس المادة: م.د. خالد تركي عليوي

القسم: التاريخ

المرحلة: الاولى

مصر وبلاد الشام

العام الدراسي:٢٠١٦-٢٠١٧

ان هذا الانشطار الجغرافي في طبيعة وادي النيل نجده بارزاً في تأريخها القديم الذي يشكل في الحقيقة تاريخا ثنائيا نتيجة هذا الانقسام الجغرافي . وعندما زارها المؤرخ اليوناني هيرودوتس في أواسط القرن الخامس الميلادي قال ان مصر « هبة النيل » ؛ ففي اواسط الصيف من كل سنة يفيض النيل فيطغى ماؤه على الأرض المحيطة به لمدة شهرين تترسب خلالهما كل ما يحمله معه من الطين الذي هو مادة الخصوبة الذي يحمله من اواسط افريقيا ، الامر الذي جعل الانسان في هذه البلاد يستفيد من هذه البركة منذ القدم نظرا لكون مصر بلادا عديمة المطر بوجه اساس فيكون النيل وما على جانبيه من الاراضي الضيقة اساساً للحياة والعيش بحيث نرى ان الاستيطان الرئيس في هذه الشقة الخضراء كثيفاً .

لقد ادى وضع مصر الجغرافي الذي جعلها بمعزل عن العالم الخارجي تقريباً بسبب الصحارى والهضاب القاحلة المحيطة بوادي النيل إلى ان يتكون في مصر فن وثقافة مستقلة تقريباً وذات طابع مصري بحت . ذلك لان وادي النيل في وضعه وطبيعته الجغرافية يشكل واحة وسط الصحراء ؛ ولكن مع ذلك فان هذا لايعني ان مصر كانت منعزلة انعزالا كلياً عن العالم الخارجي ؛ فقد غزت وادي النيل في فترات متفاوتة من الزمن هجرات لشعوب كثيرة دفعت من الشرق والغرب بدافع الحالة الاقتصادية شاقة طريقها خلال الصحراء ونزلت على ضفافه ، وكذلك فان المصريين انفسهم كثيرا ما خرجوا من واديهم محاربين وغزاة وركبوا البحر إلى سواحل سوريا وإلى جزيرة كريت عن طريق التجارة حيث وجدت في جميع هذه الأماكن آثار مصرية كثيرة ، لذا كان المصريون القدماء خاضعين إلى جميع التقلبات السياسية والاقتصادية والثقافية التي تحدث في اقطار الشرق الادنى .

---

(١) طه باقر : مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، ج٢ ص٤

(٢) د. عبدالفتاح محمد وهبة : مصر والعالم القديم وجغرافية تاريخه ، ص ١٠٨

الكورس الثاني

تاريخ الشرق / الكورس الثاني
اول تاريخ صباحي
المرحلة الاولى

تاريخ مصر القديم
وبلاد الشام

الفصل الأول

الخليفة الجغرافية للحضارة المصرية

لكي نفهم الحضارة المصرية وسير تاريخ نشوئها منذ القدم إلى ادوارها التأريخية ينبغي لنا أن نلم الماماً بأهم الخصائص الجغرافية لبلاد وادي النيل التي اثرت تاثيراً مباشراً في حوادث التأريخ المصري القديم. إن مصر تقع في الجانب الشمالي الشرقي من قارة أفريقيا وهي عبارة عن وادي طويل يمتد بامتداد النيل مصدر الحياة والخصب حيث نعرف ان هذا النهر ينشطر عند العاصمة «منفس» القديمة ، القريبة من القاهرة اليوم إلى عدة فروع تشكل الدلتا ينصب ماؤها في مصبات عديدة . في هذه المنطقة التي تحتوي على تربة من اخصب بقاع الأرض لأن ارضها رسوبية ويغمرها ماء الفيضان في كل سنة ، وبالنظر لكون الدلتا تتكون في ازمانها القديمة من سبعة فروع وكنتيجة لهذه الفوارق الطبيعية لوادي النيل فقد انقسمت مصر تاريخيا وجغرافياً إلى قسمين هما مصر العليا وتتكون من الوادي الطويل الذي يحيط به النيل من الشرق والغرب والتي تتكون من جبال صحراوية وتلال ، ثم مصر السفلى وهي الأرض المنبسطة التي تعرف بالدلتا .

هذه المعلومات التي نقدمها هي في الواقع حقائق تاريخية تبدأ في مصر ببداء السلالة الملكية الاولى اى حوالي سنة (٢٨٥٠ ق.م) ولكن هناك عصور كثيرة سبقت هذا التاريخ مر فيها انسان وادى النيل في تطورات حضارية عديدة نسميها بعصور ما قبل التاريخ وهي على جانب كبير من الاهمية في تاريخ بلاد وادى النيل لانها هي التي كونت انسان وادى النيل وهيأته إلى احتلال مكانته اللائقة في تاريخ بلاد الشرق القديم بصفة عامة وتاريخ امتنا العربية بصفة خاصة .

لذلك فمن الافضل قبل الدخول إلى تقسيمات الادوار المميزة لتاريخ وادي النيل لابد لنا ان نتعرف عن مصادر معرفتنا بالحضارة المصرية القديمة .

ان اسم(١) بلاد مصر مأخوذ من اسمها اللاتيني المشتق بدوره من الاسم اليوناني الذى يرجح ان اصله من احد اسماء مدنية منفس القديمة . اما اسم مصر فالمرجح كثيراً انه من اسم عربي قديم ويعني ما تعنيه الكلمة العربية (مصر)وقد ورد هذا الاسم بصيغة مصر وبصيغة مصري في الوثائق الاشورية وفي رسائل العمارنة الشهيرة.وان الفضل الاكبر في معرفتنا بحضارة هذا القطر العربي القديمة التي ازدهرت في وادي النيل إلى التنقيبات الاثارية التي قام بها علماء الآثار في امهات المدن المصرية منذ منتصف القرن الماضي . ولقد سبق طور التنقيبات طور تعرف فيه ابناء الغرب على آثار مصر من السواح وهواة الاثار وسراقها حيث انتقلت عنهم إلى الغرب مجموعات مهمة من الآثار المصرية القديمة . ويمتد هذا العهد إلى ازمان طويلة وخصوصاً في العهود الرومانية واليونانية حيث ان اباطرة الرومان قد نقلوا كثيرا من المسلات الفرعونية إلى روما وغيرها من المدن الايطالية .

ان عملية التنقيبات وما صاحبها من بحوث علمية وجهود مبذولة في حل رموز الخط الفرعوني (الهيروغليفي) ادت بالنتيجة إلى كشف الكثير من

(١) طه باقر المصدر السابق ص٤

الجوانب الغامضة عن الحضارة المصرية القديمة فنشأت في مصر طرق التنقيب والبحث عن مواطن الحضارة ومما شجع العلماء وساعدهم الى دراسة الآثار هو كون طبيعة الاثار المصرية نفسها كانت سالمة محفوظة والكثير منها بقي شاخصاً كالمسلات والأهرام ومعابد القبور الكبيرة ، كما ان لمناخ وادي النيل دور كبير في الحفاظ على الآثار المطمورة مما جعل عمل المنقبين الاثاريين مضموناً في العثور على الآثار القديمة .

وبالاضافة إلى دور المنقبين الأثاريين في الكشف عن الحضارة المصرية القديمة وضبط ادوارها كان دور الوثائق المدونة(١) التي تركها لنا المصريون القدماء فقد ساعدت على ضبط ادوار التاريخ في حضارة مصر القديمة. وابرز هذه الوثائق التاريخية المدونة اثباتات الملوك المصريين التي جمعها الكاهن المصري الشهير (منيثو) حيث الفها باللغة اليونانية في عهد (البطالسة) في مصر في القرن الثالث قبل الميلاد في عهد بطليموس فيلادلفوس ، حيث زودنا هذا الكاتب الكاهن بكثير من المعلومات ذات الفائدة الكبيرة في تاريخ الدولة المصرية القديمة ، وعلى هذا فقد ارتأى المعنيون بدراسة التاريخ المصري إلى تقسيم هذا التاريخ القديم إلى ثلاثة عصور كبرى تتميز بأكثر من وجه واحد من النواحي السياسية والفنية والاجتماعية ، الا ان المتفق عليه هو ثلاثة عصور كبرى رئيسة مع فترات اضطراب سياسي تفصل ما بين بعضها اضافة إلى عصور ما قبل التاريخ . وهي :

١ ـ عصر المملكة القديمة

٢ ـ عصر المملكة الوسطى

٣ ـ عصر المملكة الحديثة (العهد الامبراطوري ...)

(١) طه باقر ، المصدر السابق ، ص١٩
جان بوتون ـ ترجمة عبدالمنعم أبوبكر ، مصر الفرعونية ، ص ١٨

عصور ما قبل التاريخ

وتشمل عصور ما قبل التاريخ :

١ ـ العصور الحجرية القديمة : (١)

تبدأ هذه العصور في مصر منذ بداية حياة الانسان في هذه المنطقة حيث بدأ الانسان المصري القديم الاول يستوطن في وادي النيل وخصوصاً بعد تكوين نهر النيل في العصور الجيولوجية البعيدة حين كانت الاحوال المناخية تختلف أختلافاً كلياً عن الوقت الحاضر حيث بدأ سكان الهضاب والمناطق الصحراوية يهجرونها بعد ان جفت الغابات وقلت الامطار وهرب الحيوان واخذت تتحول الى صحراء لاتصلح للحياة . والشيء المهم هو سكان العصر الحجري القديم حيث كانوا خليطاً من أجناس مختلفة بينها الزنجي وغير الزنجي والعربي الآتي من صحراء سيناء ومن صحراء العرب حيث اختلطوا فيما بينهم وكونوا انسان العصر الحجري القديم . لقد أصبح المصري في هذا العصر صياداً متجولا في المنطقة خلف لنا كثيراً من آلاته وأدواته ، كالفؤوس اليدوية وبعض الادوات من العظام ، ومن المناطق المهمة الممثلة لهذا العصر هي وادي حلفا ومنطقة العباسية والسبيل .

٢ ـ العصر الحجري الحديث :

يتميز هذا العصر ، اي العصر الحجري الحديث ، في بلاد وادي النيل بتقدم ملحوظ في صناعة الفخار واتقان صقل أدوات الحجر وبداية زراعة الارض وتربية الماشية . عُدّ هذا العصر انقلاباً في حياة الانسان . ويمثل هذا العصر بداية الحياة المستقرة حيث التجأت جماعات من العصر

---

(١) جان بوتون ، المصدر السابق ، ص١٨ ،

الحجري القديم الى ضفاف النيل ذات المياه الدائمة والى الواحات القريبة وانتقل الانسان من طور يمثل جمع القوت الى طور دعوناه اسم انتاج القوت. لقد كانت الحياة في ذلك العصر تمثل حياة مزدهرة ، الا أننا لانستطيع ان نعرف شيئاً عن الاحداث السياسية والتاريخية التي مرت بالبلاد اذ تكاد معلوماتنا تكون معدومة وان استطعنا ان نتلمس جوانب تشير الى فنونهم وصناعاتهم وحضاراتهم .

لقد كان كفاح هـذا الشعب وصراعه في سبيل الحيـاة اثرة في مثابرتهم على العمل الشاق في مجموعات متحدة متعاونة كان له ابعد الاثر في توحيـد البلاد.

. ومن اهم المواقع الممثلة لهذا العصر مرتبة حسب القدم هي :

اولاً — دير طاسة

ثانياً — الفيوم

ثالثاً — البراري

رابعاً — مرمدة

خامساً — العمرة

سادساً — جرزة

سابعاً — حلوان

٣ — العصر الحجري المعدني :

يمثل هـذا العصر فترة تمهيديـة لظهور الحضـارة الناضجـة في بلاد وادي النيل حيث بدأ في هذا العهد الاستقرار النهائي واتساع الزراعـة والقرى الفلاحية ومعرفة التعدين وصنع الادوات المعدنيـة ولا سيمـا النحاس، المعدن الاول المستعمل في تاريخ البشريـة . لقد كان هذا العهد يمثل طلائع اولى لوحدات النظم السياسية المتمثلة بدولة المدينـة التي اتحدت في فجر الحضارة وكونت المملكة المصرية .

لقد انشغل سكان هذا العصر وخصوصاً في منطقة البراري حيث قام هؤلاء الفلاحون بتجفيف المستنقعات ليكسبوا ارضاً زراعية يسهل ريها بدل الاعتماد على الامطار وقد كان مجتمع هذا العصر مجتمعاً فلاحياً دلت المكتشفات الآثارية ان هذا المجتمع يشتمل في بنائه طائفة من الاكواخ البيضوية او المستديرة المبنية من مواد خفيفة وكذلك بتطور صناعة الفخار الذي يعد ارقى من فخار العهود السابقة من حيث الصناعة والشكل ، كذلك عرفت في هذا العهد صناعة النسيج بدلالة وجود قطع من الكتان ، ومارس سكان هذا العصر التجارة بحيث لم يقتصروا في صناعاتهم على المواد المحلية بل كانوا يستوردون كثيراً من المصنوعات من جهات أخرى .

اما مدافن سكان هذا العصر فكانت على طراز بيوتهم بيضوية او مستديرة وكان الميت يوضع داخل حصيرة او جلد ويوسد بتراب متجهاً في قبره نحو القرية وفي يده أدواته ومتاعه . ومما لاشك فيه ان سكان هذا العصر مارسوا طقوساً دينية وكانت لهم عقائد خاصة بهم بدليل وجود التمائم ودفن بعض الحيوانات كالثور والكلب والشاة والمعز وبنات آوى ويظن انهم اعتقدوا في الحياة بعد الموت بدليل وضع القرابين الى جانب الميت مما يمكن ان يقيم شاهدا على وجود فكرة تردد الروح على المقبرة .

من المواقع الممثلة لهذا العصر هي :

اولا — البراري

ثانياً — الاماري

ثالثاً — نقادة الاولى

رابعاً — نقادة الثانية

خامساً — الجرزي

او الاوتار

الجرز الذي يطلق الاوردة على الاوتار او الدوالي محافة الصدر

السيارات - الجراح

ابن سلام - ترب الجراح

التوله - هو الذي يحب المرأة زوجها

مجموعة الطائرة

١ - خالد ابراهيم

٢ - ترب لعبة

٣ - حيدر قاسم

٤ - محمد سعد

٥ - حسن سعد

الفصل الثالث

المملكة القديمة وعصر الأهرام

بداية عصر السلالات (٢٨٥٠ — ٢٠٥٢ ق .م)

وتشمل السلالة الاولى والثانية والثالثة والرابعة والخامسة والسادسة . ليس من شك في ان بلاد وادى النيل كانت مقسمة إلى مقاطعات وانه كان لكل واحدة منها حاكمها او رئيسها ثم الهها المحلي .

وليس من شك كذلك ان هذه العصور الغابرة حفلت باحداث مختلفة تتصل بعلاقات الدويلات بعضها ببعض مما كانت تزيد في نفوذ بعضها على حساب البعض الاخر عن طريق الحروب احياناً والمصاهرة والعلاقات السياسية احياناً اخرى او غير ذلك مما كان من الاسباب الجوهرية في توحيد كثير من المقاطعات حتى انتهى الامر بتوحيد اجزاء وادى النيل في حكومة موحدة واحدة.

ان الاحوال السياسية لدول المدن المصرية القديمة قبل عملية التوحيد كانت تدور حول مراكز مدن بهيئة امارات (١) ودويلات كثيرة منتشرة في كل من مصر

---

(١) طه باقر ، المقدمة ، ص ٢٩

نجيب ميخائيل ، المصدر السابق ، ص٢

العليا ومصر السفلى . وقد عرفت هذه الاجزاء السياسية في العصور التالية باسم الدويلات او الاقاليم او بالمصطلح اليوناني « نومي » او « نوموس» هذا ولايعلم عدد هذه الوحدات الاقليمية بالضبط قبل ان يوحد ملك مصر الاول « مينا» او «منا» القطر المصرى في مملكة واحدة .

ولكن الظاهر ان عددها عندما وحد البلاد كان مايقارب (٤٢) منها (٢٢) في مصر العليا و (٢٠) في مصر السفلى اى ان هناك (٤٢) دولة مدينة وكان لكل ولاية من هذه الولايات كيانها الخاص من حيث الديانة والآله والرمز الديني والسياسي .

وكنتيجة للحروب بين هذه الدويلات تقلص عددها بحيث اصبح قبل السلالة الاولى،أي قبل عملية التوحيد ، مملكتين منفصلتين ، مملكة الشمال ومملكة الجنوب وبمعنى اوسع مصر العليا ومصر السفلى ، وقد اطلق المصريون على ملوك هاتين المملكتين لقب اتباع الاله حور . وانه لمما يلفت النظر ان تقاليد كل من المملكتين يشبه ما ساد من تقاليد في المملكة الاخرى إلى حد كبير وفي ذلك قرينه واضحة إلى انهما خضعتا معا يوم ما إلى نظام موحد .

ومن بين المظاهر الواضحة في كل من المملكتين وجود عاصمة لكل منهما في اقصى مكان من الدولة ، كما ان نهر النيل او احد فروعه كان يقسم العاصمتين إلى قسمين وانه كان يعبد في احد القسمين احد الالهة التي تحمي المملكة بينما يعبد حور في القسم الثاني . فعاصمة مملكة الجنوب « نخب » على الضفة الشرقية لنهر النيل ورمزها السياسي « النملة » اما عاصمة الشمال اى مصر السفلى فهي « دب » والتي تعرف « ببوتو » شمال غرب الدلتا وشعارها «الحية» .

ان هذه المظاهر المتعددة المتشابهة في الشمال والجنوب لايمكن الا أن تكون صدى واثر لحكومة موحدة . وقد حفظت لنا قطعة حجر «بالرمو» اسماء بعض الملوك الذين يضعون فوق رؤوسهم تاج مملكة الشمال وتاج مملكة الجنوب ، هذا إلى جانب الاثار التي كشفت عنها الحفريات والتي

تبين من خلالها الصراع من اجل التوحيد في بلاد وادي النيل ، فالحروب كانت سجالا بين المملكتين المنفصلتين حتى ظهر (منا) من مملكة الجنوب واعتبر مؤسس لاول سلالة حكمت في مصر شمالها وجنوبها

السلالة الاولى ـ السلالة الثانية :

تكاد تجمع كل المصادر المختصة في دراسة التاريخ القديم لبلاد وادي النيل ان « مينا» او «مينس»(١) كما ذكره اليونان المؤسس الاول لأولى السلالات الملكية في بلاد وادى النيل وقد كان هذا الملك من مصر العليا « مملكة الجنوب » استطاع ان يضم مصر السفلى «مملكة الشمال » اليه موحداً بلاد وادى النيل بالقوة العسكرية وبذلك يعتبر المؤسس الاول لوحدة بلاد وادي النيل ووضع على رأسه التاج المزدوج .

وجدت لهذا الملك آثار في مدينة « نخب » عاصمة مصر العليا تصوره على المنحوتات يحمل رمز العقرب الذي كان يقدس في مصر العليا ضمن عبادة الاله « حورس » ، كذلك وجدت صورته على راس صولجان تصوره وهو يحارب مصر السفلى .

لقد كان « مينا» من مدينة « ثينس »من احدى مقاطعات مصر العليا وقد اشتهرت هذه المدينة بمعابدها وقبورها باسم « ابيدوس» . اتخذ « مينا » مدينة (منفس) عاصمة لدولته الجديدة وتسمى هذه المدينة بمدينة « مينس » ايضا وتقع في جنوب القاهرة على الضفة الغربية لنهر النيل وقد اصبح الاله «بتاح» الاله الرسمي للدولة المصرية القديمة .

ان اساليب الادارة التي اتبعها ملوك السلالة الاولى في ادارة المملكة تعتمد على الادارة المركزية والسلطة المطلقة وقد زودتنا التنقيبات الاثرية في منطقة صقارة على عدد كبير من قبور الموظفين والحجاب والتابعين لبلاط الملك في عهد السلالتين الاولى والثانية مما يشير الى ان الفرعون كان يتبعه ويساعده

---

(١) برستد ، تاريخ مصر ـ ترجمة حسن كمال ص ٢٤

في حكومته المركزية عدد كبير من الموظفين المربوطين بالبلاط من تعيين حكام لادارة الاقاليم والولايات مع المحافظة على اعطائها كيانا خاصا وكان الحكام يعينون من قبل البلاط الفرعوني ولكن وظيفتهم صارت وراثية خاصة بأسر معينة وهكذا نشأت في مصر منذ فجر التاريخ طبقة خاصة من حكام الاقاليم اخذت تهدد سلطان الفرعون بعد ضعف المملكة القديمة حتى استقل هؤلاء في نهاية السلالة السادسة مستغلين نفوذهم المطلق وضعف سلطة الفرعون . .

ومن الامور المهمة في الادارة العامة لهذه السلالة ان المعلومات قليلة بالنسبة إلى العلاقات السياسية مع خارج الدولة المصرية ماعدا اشارات إلى الحروب مع البدو « سكان شبه جزيرة سيناء من القبائل العربية » وذلك من اجل الحصول على مادتين مهمتين هما النحاس والفيروز. وكان طريق هجومهم على شبه جزيرة سيناء هو طريق وادى الحمامات الواقع على البحر الاحمر. ولدينا وثيقة تعزز هذا الدليل تعود إلى الملك «سمرخيت» وهو الملك قبل الاخير للمملكة القديمة تصوره يحمل فوق رأسه التاج المزدوج ويهوى بالصولجان على احد زعماء البدو من شبه جزيرة سيناء الذى صور راكعاً امامه. ومن الجدير بالذكر ان هذا التصوير الرمزى للانتصار اتخذه ملوك وادي النيل تقليداً رسمياً لهم .

كذلك كانت لملوك السلالة الاولى علاقات تجارية مع العرب الكنعانيين في بلاد الشام وخصوصاً مع مدينة الجبيل اذ كانوا يستوردون منهم خشب الارز للبناء وكذلك كانوا يحصلون منهم على الخمور والجلود وكذلك كانت لهم صلات تجارية مع جزيرة كريت اذ وجدت آثار لهذه السلالة في الجزيرة نفسها ويذكر المؤرخ المصرى الكاهن « منيثو» ان « منا » حكم البلاد مدى (٦٢)اثنتين وستين عاماً وتشير المعلومات التاريخية إلى ان وحدة وادى النيل التي اسسها «مينا» او «منا» قد تضعضعت فترة من الزمن بد وفاته اذ انفصلت مصر السفلى واستقلت ولاسيما في زمن السلالة الثانية ثم عادت وحدتها لكنها بقيت ضعيفة في زمن السلالة الثالثة . ويحدثنا « منيثو» ان «منا» كان

له ابن خلفه على العرش وهو « اثونيس » حكم مدة سبعة وخمسين عاما. وتذكر الوثائق التاريخية واثباتات سلالات الملوك ان جملة ملوك خضعوا إلى السلالة الثانية وحسب مايذكر الكاهن المصرى «منيثو» ان السلالة الثانية نشأت في طيبة وان الملوك الذين توالوا على عرش هذه الاسرة بلغوا التسعة عددا بينما الاثار تذكر اربعة ملوك فقط ونحن لانعلم عن الظروف السياسية التي اودت بالاسرة الاولى ودفعت إلى قيام اسرة جديدة عرفت بالتاريخ المصرى بالاسرة الثانية او السلالة الثانية ولدينا آثار لبعضهم وجدت في نقوش كتابية تذكر مآثرهم واعمالهم المهمة وخصوصاً في التقدم الفني واكتسابه مسحة من الرقة اضافة إلى ازدهار فن التعدين فصنعت الصولجانات الملكية من الذهب اضافة إلى النقوش المهمة التي تزين المعابد والمحلات العامة وكذلك الاهتمام الواضح بالمظهر العام ، وهذا مايلاحظ على التماثيل المختلفة لهذه الفترة الزمنية .

كما ان اهم حدث تاريخي تميزت به هذه السلالة هو ظهور الخط « الهيروغليفي » وهو الخط المقدس الذي اتخذ خطا رسمياً في البلاد وهذا يدل على ارفع ماتوصلت اليه العقلية البشرية آنذاك ، كذلك حدث تطور مهم في عملية الطقوس الجنائزية وخصوصاً عملية الدفن فان القبر مع بقائه بهيئة مصطبة الا ان البناء الظاهرى فوق حفرة الدفن صار غير مجوف مع توسيع حجرة الدفن تحت المصطبة بحيث صارت تحوي على عدة حجرات مستطيلة الشكل ثم اصبح لها درج واضيفت اليها غرف جانبية تحيط بغرفة القبر، وان دل هذا على شي فانما يدل على مدى تقدم الفن المعمارى في تلك الفترة والتي كانت عملية تمهيدية لبناء الاهرام.

عصر الأهرام

٢٦٥٠ -- ٢١٩٠ ق.م

السلالة الثالثة

هناك بعض الخلاف في أسماء ملوك هذة الاسرة بين القوائم المختلفة وجداول ثبت الملوك المعروفة ، ولكن الآراء تكاد تكون متفقة أن هذه السلالة تبتدىء بحكم الملك «زوسر» وتنص الوثيقة التاريخية المعروفة في متحف « تورينو » أي وثيقة تورين أن السلالة الثالثة تتضمن أربعة ملوك حكموا خمسة وخمسين عاماً أي من سنة ٢٦٥٠ــ ٢٦٠٠ ق.م تقريباً ويعبر عنها الكاهن المؤرخ المصري القديم منيثو باسم السلالة الملكية لمدينة منفيس. ويظهر في الوثائق التاريخية الخاصة بهذه السلالة اسم ملكة تدعى « نمعت حب » وهذه الملكة من مصر السفلى وكانت زوجة لآخر ملك من ملوك السلالة الثانية وكان ابنها «زوسر» (١) من أب آخر غير زوجها الملك .وبالرغم من قلة المصادر التاريخية فاننا نعرف عن زوسر انه مؤسس السلالة الثالثة وانه قد بنى له قبراً من الحجر يبلغ ارتفاعه (٦٠) متراً ويعرف بـ «مصطبة صقارة » المدرجة . وهذا الاتجاه الجديد في الفن المعماري الذي برز في مصر في بداية السلالة الثالثة يعتبر ظاهرة جديدة في معتقدات سكان وادي النيل حيث أنهم اعتبروا الحياة الثانية حياة مكملة للحياة الاولى كما يظهر في هذا الدور أن قدماء المصريين كانوا يحرصون على أن يجعلوا حكم الملك وسلطانه يستمر حتى في الحياة الثانية أيضاً كأنه لايزال يحكم في عاصمته «منفيس» .

---

(١) نجيب ميخائيل ، المصدر السابق، ص١١٦

ان هذا الهرم (١) المدرج الذي اشتهر في التاريخ بهرم « زوسر » اصبح من غير شك يعني أن هذه السلالة هي بداية لعصر الاهرام في تاريخ وادي النيل. ومما يقال عن هذا الهرم واساس الفكرة في بنائه هو الوهية الملك .

تدلنا المعلومات التاريخية المتوفرة لدينا أن « زوسر » حكم مدة تسعة وعشرين عاماً وقد كان رجل علم وبناء ومحب للادب وقد برزت شهرته بحيث أن المصريين القدماء قد عبدوا «زوسر» والهوه .

خلف زوسر الملك «زانخت» وقد خلد اسمه على نقش في الصخور ، كذلك ابتنى لنفسه مقبرة خاصة . وخلف هذا الملك جملة ملوك خلدوا اسماءهم على نقوش في كثير من الاهرامات والنصب تذكر بعض اعمالهم وخصوصاً في مناطق سيناء وجنوب بلاد النوبة ...

السلالة الرابعة :

تكاد تتفق كافة القوائم الآثارية والكاهن المؤرخ «منيثو» والآثار المعاصرة على بعض اسماء ملوك هذه الاسرة ، فمنيثو يذكر في كتابه اسماء ثمانية ملوك حكموا مايقارب (٢٧٧) سنة مبتدأ بملك يدعى «سنفرو» « سفرع » وتقدم لنا بردية تورينو قائمة باسماء تسعة ملوك سقطت منها ثلاثة أسماء ، أما قائمة صقارة فتقدم لنا تسعة ملوك ، والآثار المعاصرة تقدم لنا ستة ملوك على الوجه التالي :

١ ــ سنفرع ٢ ــ خوفو ٣ ــ رع جدف ٤ ــ خفرع ٥ ــ منكرع ٦ ــ شبس مكف

ان هذا الوضع يكاد يكون موضع جدل بين هذا الخلط من الملوك حسب الترتيب والاجماع يكاد يكون تاماً على ان خوفو خلف سنفرع اما بقية الملوك فالوثائق والقوائم تكادتكون مجمعة على ترتيبها وحجر بالرمز لم يقدم لنا دليلا واحدا نستند عليه والمقابر الشرقية في منطقة الاهرام تشير إلى صراع قدحدث في أعقاب حكم خوفو بين اولاده .

(١) ط باتر ، المصدر السابق ، ص٣٦

ولدينا بايؤيد ثبت أسماء بعض الملوك وخصوصاً عندما عثر في منطقة وادي الحمامات على طريق سيناء نقش يحوي على بعض أسماء ملوك تابعين لهذه الاسرة مرتبة ترتيباً يكاد يكون مشابهاً لترتيبنا هذا .

السلالة الرابعة :

ونحن لانعرف بالضبط كيف انتقل الحكم إلى يد السلالة الرابعة ولكننا نعرف ان احدى الملكات قامت بدور مهم في نقل الحكم إلى يدي زوجها الملك سنفرع الذي كان من مصر السفلى .

ويعتبر هذا الدور بداية الاهرامات الضخمة ، فقد بنيت ثلاثة أهرامات كبيرة يعود اخذها إلى الملك سنفرع حيث بدأ حكمه في بناء هرم كبير في ميدوم الواقع في جنوب سقارة ولكنه تركه لاسباب لم تتوضح بعد . ثم بنى هرماً آخرا اطلق عليه الهرم الاحمر الذي يبلغ ارتفاعه ١٠٠ متر . ومع ان الفرعون سنفرع حكم ٢٤ سنة الا انه لم يترك لنا شيئاً عن أعماله الاخرى ماعدا اخباره الحربية التي قام بها على بلاد النوبة وعلى العرب الكنعانيين وكذلك اصطداماته مع العرب في صحراء سيناء .

ومن اخبار هذه السلالة التي دلت عليها الآثار وخصوصاً مايتعلق بالملكة «حتب حيرس» التي نقلت الحكم إلى يد زوجها «سنفرع» انها دفنت في الهرم الناقص في منطقة «دهشور» ولكن ابنها «خوفو» نقل الكنوز التي دفنت مع أبيه إلى قبره في هرمه في الجيزة .

اعقب سنفرع ابنه خوفو الذي يعتبر من اعاظم فراعنة المملكة القديمة ويخصص له المؤرخ هيرودوتس ٦٣ سنة وتشير المعلومات التاريخية انه كان محارباً شهيراً حيث تدل على ذلك النصب المنحوتة في صحراء سيناء والتي تمثل المشاهد الحربية الواسعة .

لقد نقل خوفو مقر اقامته الى الشمال من «ممفس» بالقرب من الجيزة الحالية واتخذها كل من الفرعون خفرع ومنكارع مقراً لهما وبنى كل منهما هرماً خاصاً به .

تابع

لقد خلد خوفو شهرته في الهرم الكبير طوال الوف السنين وهو أول هرم راه القادم الى الجيزة ويبلغ ارتفاعه ١٣٩ متراً وان دل هذا على شيء فانما يدل على العظمة التي وصلت اليها الحضارة المصرية في هذا العهد . .

ومن الملوك المشهورين لهذه السلالة هو خفرع والمعلومات التاريخية تدلنا على أن خفرع لم يخلف والده خوفو بل حكم بعده بثمان سنوات وذلك لحكم اخيه رع – جدف الذي لم تزودنا المصادر شيئاً عنه .

وشهرة خفرع اتته من كونه باني ثاني هرم ضخم في منطقة الجيزة ، وترجع الى عهد هذا الملك أقدم الاشارات الى لقب الفرعون «البيت العظيم» على الرغم من انه لم يستعمل لقباً رسمياً للملوك إلا في عهد الاسرة الثامنة عشر . .

وفي عهد هذا الفرعون بلغ فن النحت ذروته وخصوصاً في التماثيل والقطع الفنية المختلفة والتي تزين متاحف العالم في الوقت الحاضر ، وتمثال ابو الهول المتمثل بهيئة رأس بشر وجسم اسد الا دليل واضح على تطور الفن والذي يدل على عظمة الفرعون خفرع ووجوده لحماية المعبد في العاصمة المصرية . . حكم خفرع ٥٦ عاماً وخلفه على العرش ابنه منكورع الذي حكم زهاء ٢٠ سنة واشتهر هذا الفرعون بكونه باني الهرم الثالث بالجيزة الذي يبلغ ارتفاعه ٢١٥ قدماً .

تسلم العرش ابنه شبس – كاف وقد خالف هذا التقليد الذي سار عليه آباؤه في بناء الاهرامات ، فقد شيد له قبراً بسيطاً في جنوب سقارة بطابقين يدعى ، باسم « مصطبة الفرعون » ، ويخبرنا منيثو انه خلف هذا الفرعون ثلاثة ملوك آخرون ولكننا لانجد لهم ذكراً في النصوص التاريخية الا انه يلاحظ في واخر عهد الفرعون «شبس – كاف» بدأت تظهر عبادة الاله «رع» وتطغى على عبادة الفرعون وذلك بتدخل كهنة معبد الاله «رع» في « هليوبوليس » حيث زاد نفوذ كهنة «رع» مما ادى هذا الى انتقال الفرعون شبس – كاف من عاصمته الى سقاره الا ان هذا لم يجديه نفعاً فانتقلت السلطة إلى ما يعرف

بالاسرة الخامسة وحتى انه يقال ان الاسرة الخامسة العامة كانوا من زوجة كاهن من كهان الاله رع ..

السلالة الخامسة :

كان من جراء انتشار عبادة الاله الشمس «رع» في بلاد وادي النيل برمتها ، ازدياد نفوذ الكهنة في بلدة عين شمس ، وبدأت طبقة الكهان تتدخل تدخلا مباشرا في امور الدولة الرئيسة وخصوصاً عندما توفي آخر فرعون من فراعنة السلالة الرابعة بدون وريث على العرش الفرعوني ، قامت الملكة خنت كاوس ابنة الفرعون منكرع وادعت لنفسها العرش فتزوجها احد النبلاء الذين لهم حق في وراثة الفرعون ومن المحتمل انه يمثل الكاهن الاعلى للاله رع ، وقامت بتدبير شؤون المملكة مع علم ذكر زوجها في النقوش الآثارية واثباتات الملوك ، ولكنها رزقت من هذا الكاهن ولداً ورث العرش الفرعوني .

ان فترة الانتقال إلى السلالة الخامسة كانت ذات أثر بليغ في معتقدات سكان بلاد وادي النيل بحيث بقي هذا الاثر في نفوس الناس اجيالا عديدة حيث حدث تبدل مهم في مركز عبادة الاله رع وصارت هي السائدة في البلاد كما أن هذا الاله قد طغى على الاله الفرعون الذي صار مجرد ابن الاله رع بينما كان قبل هذه السلالة الاله العظيم . ان المكانة الدينية المهمة التي احتلتها عبادة الاله الشمس «رع» في معتقدات سكان وادي النيل ادت إلى ادخال اسم رع ضمن اسماء الفراعنة بحيث نجد معظم ملوك هذه السلالة يدخل فيها اسم الاله رع .

يعتبر الفرعون بوسر اول فراعنة هذه السلالة وتخبرنا وثيقة بالرمز ان هذا الفرعون قد منح جميع اراضيه الخاصة إلى معبد الاله رع وامده بالقرابين وكذلك بنى له معبداً في معبد حور بمدينة بوتو «تل الفراعين» وخصص لعبادة

البقرة «حتحور» ام الاله «رع» وبذلك نراه يظهر الاهتمام بالاله رع باعتباره ينتسب إلى طبقة الكهان كما أنه بنى له هرماً في أبي صير . (١)

خلف بوسر «سحور – رع» وليست لدينا معلومات عن نسب هذا الفرعون ويقال أنه أخوه ، ويعتبر هذا الفرعون من المهتمين بالشؤون الحربية اذ عثر له في شبه جزيرة سيناء على لوحة يظهر فيها لابساً تاج مصر السفلى ، كذلك ترك لنا هذا الفرعون اثاراً في بلاد النوبة مع اهتمامه ببناء المعابد وخصوصاً معبد الاله الشمس في أبي صير بالقرب من مدينة منفس . .

ومما يقال عن الحضارة المصرية في هذه السلالة انها لم تكن تمتاز عن بقية السلالات باستثناء التبدل الديني المتمثل ببروز عبادة الاله الشمس وتضاءل سلطة الفرعون السياسية وقد عثر في أبي صير في الجيزة شمال غرب سقارة على ثلاثة اهرامات صغيرة تعود إلى ثلاثة ملوك من ملوك السلالة الخامسة وهم «سحورع» و«نفير كارع» و«نيسور – رع» وقد أمدتنا المعابد المخصصة لعبادة الاله رع الملحقة بهذه الاهرامات بمعلومات مهمة ولاسيما المنحوتات البارزة في جدران هذه المعابد والتي تعد أقدم منحوتات بارزة في تاريخ الفن المصري القديم ، وقد صورت هذه المنحوتات حوادث مهمة في حياة هؤلاء الفراعنة وعلاقاتهم بالعالم الخارجي حيث كانت لهم علاقات وثيقة مع الاقوام العربية وخصوصاً سكان صحراء سيناء وسكان المناطق الساحلية من العرب الكنعانيين اصحاب العلاقة القريبة لهذه الاسرة .

كذلك زودتنا المعابد القديمة التابعة لهذه السلالة بكتابات ادعية وتعاويذ سحرية ورقى تجلب السعادة والسلامة لروح الفرعون في العالم الثاني وقد صارت أساس مايعرف بتاريخ مصر باسم (كتاب الاموات) .

وتخبرنا قائمة الملوك ان السلالة الخامسة حكمت حوالي ١٣٠ سنة وكان اسم آخر ملك من ملوكها هو «اوناس» ولكنه يعتبر من ملوك السلالة السادسة .

(١) احمد فخري ، الاهرامات المصرية ، ص ٨٣

السلالة السادسة :

لاتوضح لنا المعلومات التاريخية الطريقة التي انتقل بها الحكم إلى السلالة السادسة ولكن بعض المؤرخين يذكرون أن «أوناس» هو أول فرعون من فراعنة السلالة السادسة ، كذلك زودتنا النصوص المدونة في الأهرامات أسماء لأربعة ملوك وهم على التوالي «تيتي» أو «شيشاق» في مدينة منفس و«ويبي الأول» و«بيبي ن» و«ويبي الثاني» : «نفير – كا – رع» وتتم اهرامات هؤلاء الملوك الأربعة في سقارة .

لاتوجد أعمال مهمة تعود إلى فراعنة السلالة السادسة ولكن يظهر أنه في عهد الفرعون «بيبي الثاني» الذي حكم تسعين سنة حسب ماذكره هيرودوتس نقلا من قائمة الملوك «دب الاضمحلال والتسيب في الإدارة» وتذكر الوثيقة التاريخية المعروفة في متحف الأيامن في هولندة والتي تعود إلى العهد الامبراطوري «السلالة الثامنة عشر» عن فترة هذا الفرعون بأنها كانت من أسوأ الفترات السياسية التي مرت في تاريخ مصر حيث انفصلت مصر العليا عن العاصمة منفس كذلك هاجمت بعض القبائل الليبية القادمة من سيناء مصر السفلى هذا إلى جانب الاختلال في الادارة المركزية بحيث استغل أكثر حكام الأقاليم المعينين من قبل الفراعنة بأقاليمهم بحيث أدت إلى تضاؤل سلطات الفرعون وانتقال السلطة المركزية المتمثلة بالفرعون إلى سلطة غير مركزية بيد ولاة الأقاليم مع تدهور الحياة الاقتصادية واصبحت الدولة تسير نحو الانهيار ..

السلالة السابعة والثامنة :

ليست لدينا معلومات وافية عن هذه الفترة نتيجة التدهور والانحلال الذي اصاب المملكة المصرية بسبب الانهيار السياسي للمملكة وخصوصاً الانفصال التام عن مركز الحكم من قبل النبلاء وتبدل علاقاتهم مع الفراعنة واستقلال هؤلاء النبلاء في اقطاعياتهم وتكوين مايسمى بدويلات مدن تدار من قبلهم وتذكر وثيقة تورين احصائية عن ملوك السلالة السابعة والثامنة فتقول بأنهم حكموا

١٨١ سنة كما تذكر أن دورا تاريخيا مهما قد انتهى وهو الدور القديم وبدأ عهد جديد هو عهد الاضمحلال . .

فترة الاضمحلال ٢١٩٠ – ٢٠٠٠ ق . م

تعتبر السلالة الثامنة نهاية الدورة القديمة وتذكر النصوص التي تعود إلى زمن الملك (بيبي الثاني) من السلالة السادسة والذي حكم مايقارب من ٩٠ سنة ان الامور في المملكة المصرية بدأت تضمحل وتنهار ، وتذكر الكتابات ، وخصوصا الكتابات على القبور الصخرية في مصر العليا ان المملكة ، دخلت بعد السلالة الثامنة في فترة اضطراب سياسي داخلي بحيث أن كثيرا من النبلاء وامراء الاقطاع والمنفذين حاولوا تأسيس سلالات خاصة بهم . وتذكر لنا المصادر التاريخية قيام سلالتين رئيسيتين في مصر العليا وهي سلالة (ابيدوس) والسلالة القبعية نسبة إلى العاصمة (كوبتوس) وان هاتين السلالتين تكونتا على حساب الامارات الصغيرة التي استقلت حال وفاة الفرعون بيبي الثاني ولكن هاتين السلالتين لم تحكما طويلا فانتهت بسرعة وقامت مكانها امارة قوية هي امارة (هيراكليوبوليس) جنوب الفيوم في شمال مصر العليا . وقد ذكرت هذه الامارة في قائمة الملوك واعتبرت الوريثة الشرعية للدولة القديمة ، وتكونت منها السلالتان التاسعة والعاشرة واستطاعت أن تضم اليها مدينة ممفس .

لم تظهر لنا من خلال الحفريات قبور ملوك هاتين السلالتين ولكن المعتقد أن قبور ملوك هذه السلالة في المقبرة الواسعة في سقارة لانهم واصلوا حضارة الدولة القديمة . ويعتبر مؤسس السلالة التاسعة الذي نشأت في مدينة (هيراكليوبوليس) هو الامير (خيتي) الذي انتقل إلى مدينة ممفيس وجعلها عاصمة له ولكن حكمه لم يشمل كل البلاد بل اقتصر على مصر السفلى فقط حتى مدينة (ابيدوس) حيث كانت في الجنوب سلالة قوية في مدينة طيبة بحيث أدت في النتيجة إلى سيطرة طيبة على مملكة الشمال وتأسست على أثر هذا الانضمام مايسمى في التاريخ بالدولة المتوسطة .

(١) نجيب ميخائيل ، المصدر السابق ، ص ٢٠٧

قائمة بأسماء الفصل الثالث

١- عبد الفتاح داود
٢- [illegible]
٣- سلام زيد
٤- حاكم نصيف
٥- ادريس سعد
٦- [illegible]
٧- سجاد كامل

الفصل الرابع

الدولة الوسطى ٢٠٠٠ - ١٧٨٧ ق.م

عودة الاستقرار

الاسرة الثانية عشرة

تعد ايام الدولة الوسطى ايام فتح جديد بالنسبة لبلاد وادي النيل ، بعد الظروف التي احاطت في نهاية الدولة القديمة من جراء سيطرة النبلاء والامزاء حكام الاقاليم التابعة للدولة . لقد كانت سلطة الامراء مستمدة من سلطة الفرعون(١)الا ان النبلاء اخذوا يفكرون في الانفصال في نهاية عصر الاهرام نتيجة ضعف سلطة الفراعنة فانتقلت الدولة من حكومة مركزية بيد الفرعون إلى حكومة لامركزية استقلت فيها اكثر المقاطعات وانسلخت عن العاصمة ، فعادت البلاد إلى دويلات مستقلة متنافسة فيما بينها ومما زاد في الاوضاع السياسية سوءاً هو ما اصاب موارد الدولة من الارهاق والفوضى التي حلت

(١) نجيب ميخائيل ، مصر والشرق الادنى ، ج٢ ، ص ٢٥٦

في البلاد واستمرت اكثر من مائة عام واصبح الفرعون ليس له سوى الاسم .

لم يتمكن الفراعنة من السلالات السابعة والثامنة والتاسعة والعاشرة من السيطرة على الامور نتيجة الاضطرابات والفوضى والحروب بين امراء المقاطعات فاخذت مدينة طيبة على عاتقها ان تخضع في آخر الامر اكثر المدن وتبسط سلطانها على سائر بلاد وادي النيل وتضمها في مملكة واحدة مبتدئة بعهد جديد وقيام دولة نهضت فيها بلاد وادي النيل من عثرتها وكبوتها واخذت مكانها الاول الذي عرفته في ايام الدولة القديمة . لقد كانت هذه النهضة عظيمة بعد الذي حدث لبلاد وادي النيل من المحن الجبارة العاتية والانحلال السياسي الخطير الذي ادى إلى الانقسام في حكومة الفرعون وجرها الى نظام اقطاعي فاسد تقسمت البلاد فيه إلى مقاطعات ودول إلى جانب الحروب المتتابعة نتيجة اطماع النبلاء ورجال الاقطاع طيلة ثمانين عاما تدير رحاها شهوة الحكم والسلطان بين دولتين احداهما مملكة طيبة والثانية مملكة اهناس . لقد اصبحت سلطة الحكام المحلية واسعة بحيث نرى ان اكثر اراضي مصر لم تعد ملكاً للتاج الفرعوني وادارة الاقاليم لم تعد بيد اولئك النفر من رجال الفرعون . لقد اجمعت المصادر المختلفة على تقدير حكم الاسرة الثانية عشر بحوالي (٢١٣) سنة من عام (٢٠٠٠ — ١٧٧٨) ق . م وهذه السلالة تعاصر سلالة بابل الاولى اى عهد حمورابي بل والاكثر من ذلك ضبطاً للتاريخ ان بردية تورينو حددت مدة الحكم بـ(١٧ يوم وشهر واحد و٢١٣سنة) . وقد اتفقت القوائم التاريخية والاثار المعاصرة جميعها على اسماء ملوك هذه الاسرة مع ملاحظة ان ملوك هذه الاسرة اتبعوا خطة الاشتراك في الحكم مع ابنائهم.

بداية الاسرة الثانية عشرة

ان فراعنة الدولة الوسطى قد تمكنوا بعد جهود طويلة من القضاء على نفوذ الامراء في الاقاليم معتمدين على من والاهم في سبيل عملية التوحيد

ولم تكن (١) العقبات التي قامت بها هذه الاسرة وبناء عرشها وتدعيمه بالشيء الهين اليسير وانما كانت صعبة لقيت الاسرة في سبيل ازالتها والتغلب عليها كثيراً من العنت والمشقة ، ويعتبر « امنمحات الاول » اول عاهل استقبل ايامه بالحرب والكفاح وضرب العصاة والثائرين ، من الامراء ، لقد تسلم هذا الفرعون الحكم عام (٢٠٠٠) ق .م على الارجح بعد سنوات من جلوسه على عرش امارة طيبة قرر ان يجعل من هذه الامارة قاعدة ينطلق منها لكي يقضي على منافسيه ويؤسس اسرة جديدة تمثل بلاد وادي النيل في عصرها الذهبي وتوصل مصر إلى دولة تمتد حدودها إلى ابعد ما وصلت اليه في دولتها القديمة ، لقد احتضن هذا الفرعون معبودا جديدا لم يكن لاقليم طيبة عهد به من قبل ، كان ذلك المعبود يدعى آمون واصبح هذا الآله هو حامي مدينة طيبة ودخل اسمه في تركيب اكثر الاسماء من جملتهم هذا الفرعون وقد نجح اهل طيبة في جعل هذا الاله رب الارباب حتى بلغ اعلي درجات السمو ايام الدولة الحديثة .

لقد ادرك هذا الفرعون ان طيبة لاتصلح للحكم فمد بصره إلى قلب الوادي واختار مركزاً آخر عند رأس الدلتا إلى شمال الفيوم حيث بنى قلعة اطلق عليها اسم « آنت تادى » اي مآخذ الارضين وهذا مايشير إلى آماله فقد اراد ان يرقب امور وادي النيل في كلا الشطرين من مكان قريب ، انه لتقدير يدل على بعد النظر السياسي بحيث يستطيع ان يتقرب من اهل الشمال .

ومن الامور المهمة التي نعرفها عن هذا الفرعون الذي حكم مايقارب من ثلاثين عاما انه حارب سكان سيناء من العرب القدماء لمنعهم من دخول مصر وبنى سورا لصد هجماتهم . وقد حفظت لنا بعض اخبار هذا الفرعون وخصوصاً في قبر هذا الملك في منطقة الدير البحري وهو معبد الاموات المكون من طابقين وكذلك الواح الحجر تمثل لنا الانتصار الذي حققه هذا الفرعون .

---

(١) احمد بدوي — في موكب الشرق ص٢٥٦

في منطقة النوبة . ونستنتج من هذه الالواح ان هذا الفرعون استطاع ان يقيم حكماً قوياً ويؤسس دولة جديدة ثابتة الاركان .

ومن المعروف ان هذا الفرعون قد اشرك ابنه في الحكم في العام الاول من ولايته لكي يسهل عليه تسيير الامور ولكي يستطيع ان يؤمن العيش لشعبه .

خلف هذا الفرعون ابنه « سنوسرت الاول » بعد ان مهد له الامور السياسية ، اذ لاتوجد وثائق تشير إلى حروب اهلية داخلية واشتهر هذا العهد بتقدمه العلمي كما اشتهرت مدينة طيبة بصناعاتها الفنية وخصوصاً الاواني الفخارية الجميلة ، الا أن وثيقة تورينو تتحدث عن اضطرابات داخلية حدثت في السنوات السبعة الاخيرة من حكم هذه السلالة .

خلف لنا ملوك السلالة الثانية عشر انجازاتهم العمرانية في جملة من المدن المصرية فقد بنوا المعابد للاله « آمون » في الكرنك في « طيبة » وللاله رع في هيليوبولس كما شيد الملك « سنوسرت الاول » اولى المسلات العظيمة في مصر في معبد هيليوبولس كما تطور الفن هو الاخر في زمن السلالة الثانية عشر واصبح يمتاز بالواقعية ومحاكاة الطبيعة وبلغ الفنانون المصريون درجة كبيرة من المقدرة للتعبير عن التناسب وقد وصلتنا بعض الاخبار عن الفنانين حتى ان احدهم خلف لنا اخباراً مدونة على مسلة يتحدث فيها عن مهارته الفنية في تصوير الانسان بالاوضاع المختلفة سواء في الجلوس او في الحركة.

واذا مارجعنا إلى الاوضاع السياسية في مصر زمن السلالة الثانية عشرة فانه يمكننا القول بان الحالة السياسية كانت تتميز بالاستقرار وتوطيد الحكم بصورة عامة ولعل الفترة الطويلة التي حكمت فيها هذه السلالة خير دليل على استتباب الاحوال السياسية حيث بلغ حكم هذه الاسرة مايزيد على (٢١٣) عاماً اي الفترة (٢٠٠٠ — ١٧٨٧ ق . م) حكم خلالها ثمانية ملوك تذكر الاخبار التي وردتنا في قصة سنوحي من خلال التآليف الادبية التي تركها لنا هذا الاديب المصرى ووصلتنا منها نسخ عديدة اقدمها

يعود الى زمن السلالة الثانية عشر نفسها . لقد كان (سنوحي) احد الامراء وواحد من ابناء الملك (امنمحات الاول) كان في حملة مع ابيه ضد الليبيين وعندما سمع بمقتل ابيه هرب خوفاً من نتيجة الاحداث المترتبة على ذلك ففر إلى الديار السورية والتجأ في إلى احد شيوخ القبائل العربية في سيناء وقد جاء في قصته وصف ممتع لبلاد الشام وقبائلها العربية من الكنعانيين حيث يذكر سنوهي بانها بلد الخيرات وبلد الاشجار والزيتون والزراعة والماشية وبقي سنوهي في ملجأه السياسي وتزوج من عربية كنعانية وادركته الشيخوخة الا أنه ترك اولاده وزوجته وعاد إلى مصر بعد ان عفى عنه الفرعون (سنوسرت الاول) وارسل اليه وفدا يطلب منه العودة إلى مصر.

لم يحاول ملوك المملكة الوسطى مد نفوذهم العسكري إلى البلاد السورية والفلسطينية غير ان موقفهم كان يختلف تماماً بالنسبة إلى البلاد الواقعة جنوب مصر والتي تعرف باسم بلاد النوبة وكانت هذه البلاد تقسم إلى قسمين النوبة السفلى والنوبة العليا والتي تشمل مايعرف اليوم بالسودان والحبشة .

ولاجل ان تحافظ بلاد وادي النيل على وحدة بلادها فقد قام فراعنة السلالة الثانية عشر ببناء سلسلة من الحصون في مناطق مختلفة من حدود الدولة المصرية . لقد حكمت السلالة الثانية عشر فترة طويلة بلغت فيها الدولة المصرية مرتبة طويلة من الازدهار والرقي في الامور الادارية والفنية والعمرانية حيث دلت الآثار التي تركوها شاهداً عظيماً على عظمة هذه الدولة وسيادتها على كل بلاد وادى النيل ، وتعتبر الملكة (سبل — نفرو — رع) آخر ملكة لهذه السلالة وحكمت ثلاثة اعوام .

فترة الاضطراب

السلالة الثالثة عشر (١)

يمكن القول بصورة عامة ان فترة الاضطراب الثانية في تاريخ مصر، والتي شملت الاسرة الثالثة منذ ١٧٨٧ ق . م ، تشبه الفترة المظلمة الاولى ، ففيها

(١) د. احمد بدري، المصدر السابق، ص ٢٥٣

تتميز الاوضاع بعدم الاستقرار وبحكم فراعنة ضعفاء لم يستطيعوا ان يعيدوا الامور إلى نصابها. وتشمل هذه الفترة السلاسة الثالثة عشر والرابعة عشر ولا نستطيع تمييز مجريات الاحداث وعلى الرغم من قلة المصادر فانها تخبرنا عن الانهيار الذي اصاب مصر وهذا الانهيار كان نتيجة اسباب سياسية واصيب التاريخ بفترة انقطاع وتوقف . قدم لنا (مانيثو) الكاتب المصري قائمة ملوك هذة الاسرة بستين ملكاً نسبهم إلى طيبة وجعل حكمهم ثلاثة وخمسين واربعمائة عام وجعل اول ملك لهم (وجاق) والواقع ان اخبار هذه الاسرة تعد من اصعب الامور نظرا لقلة المصادر وقلة الاثار والوثائق التي يعتمد عليها في دراسة هذه الاسرة . ويمكن وضع نقاط تميزت بها هذه الفترة :

١ ـ مجموعة من التماثيل والنقوش ذكرت اسماء اصحابها في بردية (تورينو) وقائمة الكرنك .

٢ ـ مجموعة اخرى تكون اثار مهمة وتماثيل لاسماء في معبد الكرنك توحي بانهم مغتصبون للعرش فاحدهم رئيس الجند يوحي لقبه انه اغتصب العرش لنفسه والاخر وزير في (ابيدوس) يذكر اسم ابيه وامه اللذان لايمتان بصلة إلى عائلة ملكية .

٣ ـ مجموعة ثالثة مكونة من (٣٤) ملكاً طبقاً لبردية تورينو احدهم يحمل لقب (تخسي) وقد قام باصلاح معبد (ستخ) في (ثانيس) وهذا يلقي ضوءا على بعض الاحوال السياسية في ذلك العصر اذ ان ستخ هو اله الصحراء والبلاد العربية في منطقة سيناء والذي جعله الهكسوس فيما بعد حامياً لهم، ويعتبر هذا الملك السابع والخمسون من قائمة الستين ملكا ، وعلى هذة الصورة حاول ملوك مدينة طيبة اعادة الملك لهم الا أنهم لم يستطيعوا نظرا لتفكك مصر وعودتها إلى الانقسام ، إلى ان حلت الاسرة الرابعة عشر التي في بدايتها بدأت جحافل العرب الكنعانيين والاموريين المتحدة مع عرب سيناء دخولها مصر وتأسيس سلالة لعبت دورا مهماً في التاريخ رغم الاهمال الواسع من قبل اكثر المؤرخين لهذه الفترة الزمنية .

السلالات العربية القديمة
الهكسوس

الأسرة الرابعة عشر / الخامسة عشر

السادسة عشر / بداية السابعة عشر

تختلف آراء المؤرخين واقوالهم تتضارب عند الكلام عن اصل الهكسوس وموطنهم الاصيل فمنهم قائل انهم قبائل عربية تسكن سوريا وفلسطين وبلاد الجزيرة العربية نزحوا إلى مصر في نهاية الدولة الوسطى ومنهم من يقول أنهم هاجروا من سوريا وفلسطين نتيجة ماحل بهم من ظلم حكام الاقوام الهندية الاوربية وبسبب ضغط الآريين من جهة أخرى ومن المؤرخين من يقول أنهم خليط من عدة أقوام غزت مصر من سورية وفلسطين نتيجة تعرض الشرق الادنى إلى هجرات الاقوام الهندية الاوربية للمنطقة .

ومما تجدر الاشارة اليه انه لم تصلنا نصوص كتابية معاصرة لفترة حكم الهكسوس في وادي النيل وان المعلومات المتوفرة لدينا جاءت من أزمان لاحقة بعد انحسار حكم الهكسوس عن مصر .

ولاغرابة في أن المؤرخين والكتاب المصريين المعاصرين لفترة الهكسوس والمصريين المحدثين كانوا يرون في هذه الفترة فترة احتلال وسيطرة الاجنبي على بلادهم وكأن الهكسوس اتوا من خارج حدود الأمة العربية ولذلك نراهم لم يعنوا بالكتابة عنهم ولم يعطوا هذه الفترة حقها إلى جانب الكتاب الاجانب المختلفين فيما بينهم السائرين وراء الاستعمار والصهيونية والذين شوهوا معالم هذه الفترة وأضافوا اشياءا لم تكن واردة في النصوص التاريخية بل غالطوا التاريخ ، والهكسوس اسماء عربية مثل شاسو وهك ... سوس

في التزوير كثير، وكذلك تزوير الحقائق التاريخية اللاحقة. ونحن بدورنا نكتب عن أصل المكسوس وحضارتهم وتأثيرهم وأثرهم في الحضارة المصرية القديمة، التي هي جزء من حضارة الأمة العربية المجيدة، باعتبار مصر كباقي الأقاليم العربية تعرضت إلى فترات سياسية مختلفة عبر التاريخ الطويل للأمة العربية، كما أن هذا القطر لا ينفصل عن منبع الأقوام العربية.

نستطيع أن نقول من خلال النصوص المتوفرة لدينا لدراسة التاريخ أن منذ بداية فجر التاريخ في مصر أي منذ الدولة القديمة الأولى نرى إشارات واضحة في الكتابات المصرية المنقوشة على الأحجار والنصب تبين مدى العلاقة الوثيقة مع منطقة القبائل العربية في سيناء والتي يطلق عليها قبائل (الساموا) وهم الأموريون بدون شك أو الحاموريون، وكذلك الصلات الوثيقة مع منطقة الكنعانيين في الساحل اللبناني والفلسطيني أي سواحل بلاد الشام، وهذا ما تدعمه الشواهد الآثارية في مختلف أوجه الحياة في بلاد وادي النيل وفي منطقة جبيل في الساحل اللبناني. ونحن بدورنا كمتخصصين بدراسة العراق القديم نستطيع استخلاص الحقائق التاريخية بصورة تنسجم مع الواقع العلمي والحضاري للأمة العربية مبتعدين اعتماداً كلياً على التخاييل العلمي لا المغالاة بكوننا عرب ولا اغتيال الحقائق العلمية على اعتبار أن تاريخ هؤلاء القوم هو جزء من تاريخ الأمة العربية في تلك الفترة، ولهذا فنستطيع أن نرد على هؤلاء المؤرخين والكتاب الذين شوهوا الحقائق التاريخية مندفعين بتعصبهم الأعمى ضد الأمة العربية. فمن خلال البحوث والآثار المتوفرة لدينا ومن خلال ما وقع فيه هؤلاء المؤرخين من خطأ نتبين افتراضات باطلة ومشوهة كافتراض الكاتب الصهيوني (يوسيفوس) الذي سرق جزءاً من الوثيقة المعروفة بوثيقة مانيتو ونسبها لليهود متناسياً أن الديانة اليهودية ظهرت بعد المكسوس بعدة قرون. وهذا أول دحض لافتراءات هذا الكاتب. وكذلك رداً على بعض الكتاب الذين سموا هؤلاء القبائل بالقبائل السامية. وهذا تعبير خاطئ أيضاً أراد به الكاتب الألماني الأصل الصهيوني (شلوتزر) في القرن الثامن عشر الميلادي أن يعطي صفة شرعية لليهود الصهاينة في المنطقة العربية

[illegible] على اعتبار أن بلاد الشام سكنت من قبل هؤلاء الاقوام بينما المعروف أن سكان بلاد الشام هم من أقدم الاقوام العربية استيطاناً.

وعلى هذا الاساس فان المكسوس ، التسمية التي جاءت لهم ، هم من الاقوام العربية المستوطنة في بلاد الشام وقامت بدور في التاريخ هو السيطرة على مقاليد الحكم في القطر المصري مستغلة الظروف السياسية.

١ - ان كلمة المكسوس (١) لاتعني قوم أي لاتعني اسماً علماً وانما هي لقب اطلقه المصريون القدماء على كل حاكم غريب يحكم بلاداً غريبة أي بالمعنى الواسع حكام المناطق الاجنبية. لقد ورد هذا التعبير في تاريخ مصر قبل مجيء المكسوس اليها وذلك في زمن السلالة الثانية عشر واستعمله المؤرخ المصري « سنوهي » الذي التجأ إلى بلاد الشام في فترة الاضطراب الذي عم مصر نتيجة مقتل الفرعون « امنمحات الاول » وكتب عن فترة الاضمحلال التي سبقت هذا العهد ، الا ان الكاتب المصري منيثو الذي عاش في ٢٨٠ ق.م اخذ هذا التعبير وفسره تفسيراً خاطئاً بانه يعني « ملوك الرعاة » فلذلك أن كلمة مكسوس وهي بالمصرية القديمة « حق - خاسوت » اي حكام البلاد الاجنبية أي بالمعنى الواسع البلاد التي تقع خارج حدود المملكة المصرية آنذاك.

٢ - اصطلاح « منيثو - ساتت » يطلقه المصري على قبائل البدو العربية التي كانت تجوب الصحراء الشرقية وشبه جزيرة سيناء وهم كنعانيون واموريون.

٣ - المصطلح « شاسو » لقب اطلقه المصريون على القبائل المقيمة في صحراء جنوب فلسطين ، وكلمة « شاسو » معناها رعاة.

٤ - المكسوس باللغة اليونانية تتألف من كلمتين (هك - بمعنى ملك) و(سوس بمعنى راعي) أي الملوك الرعاة.

(١) ط. باتر ، المصدر السابق ، ص ٦٢

٥ - الهاكسوس لقب يطلق على حكام الهاكسوس في بلاد الشام

«العامو» لقب يطلق على القبائل العامورية في بلاد الشام .

من هذه الاسماء نستدل على أن الهكسوس من أصل عربي جزيري أي منطلق من جزيرة العرب المهد الاول للقبائل العربية التي انحدرت عبر العصور إلى الارض العربية المتمثلة اليوم بالاقاليم المجزئة وعلى هذا الاساس وكنتيجة معروفة في التاريخ ان أكثر القبائل التي نزحت من جزيرة العرب استقرت في الاول (١) في بلاد الشام ، لذلك فان الهكسوس جزءاً من الكنعانيين اتحدوا مع الآموريين وسكنوا بلاد الشام في مستوطنات خاصة بهم وعلى الاخص في جزئها الجنوبي . ومما يدعم هذا الرأي ان أغلب اسماؤهم التي خلفوها في مصر وسوريا وجزيرة كريت احدى مستعمراتهم هي أسماء عربية ترددت في كثير من الالواح التي خلفها ملوكهم مثل يعقوب — ابوفيس — عبد — نحمان — بنون — سلاطيس — اباخنان — .... اضافة إلى الكلمات العربية التي ظلت تستعمل في مصر بعد فترة الهكسوس وهي كلمة العربة — مركبة عجلوتي بمعنى عجلة ، اضافة إلى دخول اسماء لآلهة غير مصرية بل عربية كعشتروت — بعليم لى « هبل أوبعل » — اضافة إلى ذلك علاقة الهكسوس ببلاد الشام خلال حكمهم علاقة وثيقة . فقد عثر في تلال فلسطين واريحا ومجدو على بعض آثار هؤلاء القوم كذلك ازدهار التجارة مع بلاد الشام بصورة كثيفة .

هذا بالاضافة إلى أنهم بعد سقوط دولتهم في مصر السفلى نزحوا إلى فلسطين وتحصنوا بها ثلاث سنوات . ومن الاشياء المهمة عن علاقتهم بالعرب ان عاصمتهم في مصر خططوها على أطراف الصحراء وهذه ميزة امتازت بها العواصم العربية عبر العصور ، كل هذه الدلائل مع اخبار الكاهن المصري منيثو تدل دلالة واضحة وبدون شك أن هؤلاء عرب جزيريون اسسوا سلالة عربية في بلاد وادي النيل .

أما الموطن الذي انطلق منه الهكسوس إلى مصر فتتفق كل الآراء أنهم (١)

---

(١) جان بوتون ، مصر الفرعونية ، ص ١٠١

(١) طه باقر ، المصدر السابق ، ص ٦٤

كانوا يستوطنون بلاد الشام خلال القرنين الثامن عشر والسابع عشر ق.م وتركوا في بلاد الشام آثار حصونهم الخاصة وخصوصاً في الموضع القديم المسمى (قطنا) الذي يرجح أنها كانت عاصمتهم في بلاد الشام نظراً لموقعها الاستراتيجي المهم باعتبار أن هؤلاء القوم اصحاب نظم عسكرية خاصة، كذلك في قاديشا واريحا في فلسطين وتميز نظامهم في سوريا بالنظام العسكري وهذا دليل آخر على أنهم لم يكونوا هجرة نتيجة ضغط معين بل أنهم قوم فتحوا مصر بجيش منظم مستغلين بذلك الظروف السياسية والنزاع الداخلي الذي حدث بعد السلالة الثانية عشر والصراع التقليدي بين مصر العليا ومصر السفلى فانتهز الهكسوس هذه الفرصة نتيجة للفوضى التي سادت مصر ودخلوها من جهة الشمال في حدود عام ١٧٨٠ ق.م بجيش مدرب ومنظم تنظيماً عسكرياً مستخدماً اسلحة جديدة ابهرت الفراعنة كالسيف المقوس المصنوع من الحديد الذي لايعرفه المصريون لان استخدام هذا المعدن لم يدخل مصر بعد. كذلك القوس المركب والعربات الحربية التي تجرها الخيول التي لم تكن معروفة في مصر قبل هذا العهد. اضافة إلى انشائهم تحصينات عسكرية قوية في عدد من النقاط المهمة على طول حدود مصر السفلى وخصوصاً في المنطقة الغربية من فلسطين.

اختلفت الآراء في مدة حكم السلالات العربية المتمثلة بهذه الفترة من تاريخ مصر القديمة واستنتاجاً من هذه الآراء يمكن ان نحدد الفترة التي حكموا فيها في فترة قرنين من الزمان. ففي لوحة الاربعمائة سنة تتحدث هذه اللوحة بمناسبة مرور اربعمئة سنة على عبادة (ستخ). وهذه اللوحة من زمن حكم رعمسيس الثاني (١٢٨٠ ق.م) على اعتبار ان عبادة (ستخ) في عام ١٦٨٠ ق.م وهي السنة التي يفترض فيها على هذا الاساس قيام دولة الهكسوس وليس ببعيد ان يكون الهكسوس قد دخلوا مصر حوالي عام ١٧٨٠ ق.م واسسوا عاصمتهم (اواريس) (حاوعرا) واقاموا معبد للاله ستخ حوالي عام ١٧٨٠ إلى عام ١٥٦٠ فيكونوا قد مكثوا في البلاد مدى قرنين من الزمان

لامدى تسعة قرون الذي يقدمه خطا اكثر من مؤرخ قديم اي بمعنى ان حكمهم ينحصر مابين السلالة الثالثة عشر وحتى الثامنة عشر.

والحقيقة فانه ليس من الغريب ان نجد المصادر المصرية تصور حكم الهكسوس بصورة مظلمة بل ان كراهية المصريين للهكسوس شديدة حتى ان اثارهم التي خلفوها بعد نزوحهم عن وادى النيل لم تسلم من التلف والتدمير. بعد ان دخل الهكسوس في منطقة الدلتا بالذات وسيطروا عليها بخيلهم وعجلاتهم التي لم يكن للمصريين عهد بها ، جعل الهكسوس عاصمتهم الاولى في اواريس ، الواقعة شرق الدلتا ثم اخذوا يمدون سلطاتهم على اقليم الوادى كله فتركوا غرب الدلتا تحت امرة حكام محليين من المصريين ونقصد بهم حكام الاسرة الرابعة عشر ، ثم واصلوا زحفهم حتى منفس واتخذوا منها قاعدة لادارة شؤون البلاد الاقتصادية ، والاثار تدل على ان الهكسوس قد حكموا مصر كلها وخصوصاً في زمن ملكها (ابو فيس) وخيان حيث تركوا اثاراً تدل على امتداد نفوذهم في هذه المناطق وكذلك خارج حدود مصر كسورية وفلسطين وجزيرة كريت ، هذا بالاضافة إلى مدافن الهكسوس المتفرقة في اكثر من مكان في الشمال والوسط وعلى مقربة من (هليوبوليس) وفي ابي صير وفي منف او منفس ، نستنتج ان سلطاتهم امتد إلى هذه المناطق ولم ينحصر في منطقة الدلتا .

لم تصلنا عن الهكسوس آثار ضخمة او معابد كبيرة والسبب يعود إلى ان المصريين بعد انتصارهم عليهم حطموا كل مايمت لهم حتى تمحى ذكراهم ولايبقى لهم اثر ، والشيء النزر الذي وصل الينا من اخبارهم وجد على قطع صغيرة من الفخار والاواني والجعول تحوى اسماء عدتها (٢٣) اسما لانستطيع ترتيبها ترتيباً تأريخياً . ومن المخلفات الحضارية المهمة التي ادخلها الهكسوس إلى مصر الخيول والعربات الحربية والسيوف المقوسة المصنوعة من الحديد والقوس المركب وفن التعدين وبناء القلاع والحصون الحربية ، هذا

(١) طه باقر ، المصدر السابق ، ص٦٦

بالاضافة إلى ان طائفة من التآليف العلمية ترجع إلى عهدهم كما ان جزءاً مهماً من معرفتنا بالرياضيات المصرية مستمدة من نصوص عهد الهكسوس .

وفي النهاية ضعفت سلطة الهكسوس وانغمروا في الملذات وتشبهوا بالفراعنه وتركوا الامور بايدى حكام غير امينين وانحسرت سلطتهم في الشمال والوسط وتركوا مصر العليا منفردة تعد العدة للقضاء عليهم وخصوصاً مدينة طيبة التي كانت على شيء من الاستقلال فثار عليهم جملة من الامراء طيلة نصف قرن كانت الحرب سجالا بينهم وتشير اغلب المومياء التابعة لملوك طيبة ان اصلهم من السلالة النوبية ومن مظاهر الجثث ندرك انهم ماتوا قتلى بحيث توجد اصابات قاتلة في مؤخرة الرأس . الا ان الاحداث عصفت بهؤلاء وانتهت الامور بانتصار طيبة وانسحاب الهكسوس إلى بلاد الشام مبتدءة عهداً جديد لمصراً دعي بالمملكة الحديثة والعهد الامبراطورى .

اسماء الطلبة

١- قمر متعل

٢- ديانا عبد الكريم

٣- مي هادي

٤- زهراء حاتم

٥- شهد عبد الرضا

٦- ديانا محمد

٧- اسراء ناصر

الفصل الخامس

المملكة الحديثة

العهد الامبراطوري ١٥٧٠ – ١٢٥٠ ق. م.

سقطت دولة الهكسوس وغاب سلطانها في بلاد وادى النيل بعد ان حكمت زهاء قرنين من الزمان متخذة من شمال الدلتا الشرقي قاعدة لعرشها وكانت هذه الدولة ذات سلطان واسع بنت عاصمتها بمصر في منطقة شرق الدلتا بالذات ما بين الصحراء والوادى ليكونوا على بعد قريب من صحراء العرب ولعل شأنهم في ذلك شأن العرب في زمن [redacted] الخليفة الثاني الفاروق عمرو بن الخطاب (رض) فاقام عاصمة على شاطيء النيل الايسر في المكان المعروف بالفسطاط ليكونوا على اتصال دائم بالصحراء منبع العرب ومعدنها .

ان هذه الدولة التي اقامها العرب لم يقدر لها النجاح فتم الانسحاب بعد المعارك المتواصلة مع مدينة طيبة في جنوب مصر التي تولت مهمة الحروب مع هؤلاء القوم واسست بذلك سلالة جديدة هي السلالة الثامنة عشر وتكاد تتفق كل المصادر على ان (احموسة ١٥٧٠ – ١٥٤٥ق.م) اول فرعون مصري يمثل(١)

---

(١) احمد بدوي ، المصدر السابق ، ص ٣٤٧

الفصل الأول

الخلفية الجغرافية للحضارة السورية

ان اهمية بلاد الشام ترتكز بالدرجة الاولى على علاقتها بجزيرة العرب لكونها مصدر القبائل العربية التي نزحت منها عبر العصور القديمة واحتلت مكانة عظيمة في تاريخ الامة العربية بوجه خاص وتاريخ العالم بوجه عام ، وكان فضلها كبيراً في تقدم الحضارات في العالم القديم نظراً لما قدمته الحضارة العربية القديمة من خدمات انسانية جليلة في سبيل تقدم الحضارة في العالم اجمع .

فمعرفتنا بهذه الحضارة التي لعبت دوراً مهماً في تغيير معالم الشرق الادنى في النصف الاول من الالف الثاني راجع بالدرجة الاولى إلى التنقيبات الاثرية التي كشفت الشيء الكثير عن تطور تاريخ الانسان منذ اقدم عهوده ، فقدمت لنا هذه التنقيبات الشيء الكثير عن حياة الانسان الاولى عندما كان في عهد الفطرة اي في عصور ماقبل التاريخ ، ثم كيف استطاع هذا الانسان بعد الوف السنين ان ينتقل من ذلك الطور وينشيء اولى الحضارات الناضجة ولاسيما في وادي الرافدين ووادي النيل وبلاد الشام التي نحن بصددها .

ان دراسة هذا التاريخ ، اي التاريخ القديم في مفهومه القومي الرحب ، يسجل التراث المتأتي الينا في مراحل التطور الذي عرفه الانسان في رقيه المتصاعد ويحصي كل ما اسداه الانسان العربي القديم من خير التراث المشترك . تفند هذه الدراسة الرأي القائل ان الحضارة وقفاً على الاوربيين ابناء القرن العشرين . ان هذه الحضارة التي كونها الانسان العربي في بلاد الشام منذ العصور التاريخية المبكرة وماتضمنت

من افكار ونظم سياسية ومستوى من العيش والتقنية وطاقات الانتاج وقدرة على تأمين العلاقات الاجتماعية على اختلاف مظاهرها الفكرية والدينية والفنية ، تعنينا نحن دارسي التاريخ القديم في الوقت الحاضر لدراسة الاصول الاساسية لتراث امتنا المجيدة ، وبذلك تكون هذه الدراسة ، اي دراسة التاريخ القديم ، ضرورة لازمة لفهم التاريخ الحديث وعلى هذا الاساس فان التاريخ مستمد من كل ما خلفه الانسان اي يشمل جميع آثار الماضي مما يساعدنا في فهم الواقع الحاضر .

لقد اظهرت الحفريات الآثارية التي أجريت في هذا الجزء من وطننا العربي ، خصوصاً في المناطق المنتشرة في بلاد الشام (سورية – فلسطين – لبنان – الاردن) عن اسرار هذه الحضارات القديمة التي عاشها الانسان العربي القديم في تلك المنطقة .

ومن خلال الدراسات المستفيضة لهذه المنطقة استطعنا ان نعرف ان الاحوال الطبيعية(١) لجزيرة العرب وخصوصاً في نهاية العصور الجليدية تعرضت الى الجدب والجفاف بحيث بدأت الاقوام المستوطنة في تلك البقعة تهاجر في ازمان موغلة في القدم ، وتتزح الى بلاد الشام ... وعلى القارىء ان لايلتزم بالحدود الجغرافية السياسية الحالية لانها في الواقع حدود مصطنعة اوجدها الاستعمار ... لذلك نستطيع ان نقول وبشواهد آثارية ان بلاد الشام لاتنفصل حضارتها عن حضارة جزيرة العرب او وادي الرافدين او حضارة وادي النيل ، فكلها حضارة عربية قديمة إن دلت على شيء فانما تدل على تقدم الانسان العربي القديم في تلك الفترة من الزمن .

لقد اعطى العرب لهذه البلاد اسم الشام لوقوعها الى اليسار من الحجاز اما كلمة سورية فانها كلمة عربية لاسم عربي قديم استعمله البابليون واطلقوه على اقليم في الفرات الاعلى باسم (سو – ري) وكذلك يظهر هذا الاسم ضمن الكتابات المكتشفة وخصوصاً الكتابات الادبية لمدينة (اوغاريت) (رأس شمرة) في القرن

---

(١) كلود باتر ، المقدمة ، ج٢ ، ص ١٥١٠

هذه السلالة في تاريخ وادى النيل وقد قدر لهذه السلالة ان تصبح من المع الفترات في تاريخ مصر تقريباً ولقد ذكرنا في موضع سابق بان الخيول والعربات اصبحت معروفة في مصر زمن الهكسوس كما ان استخدام العربات ساعد إلى حد كبير في زمن المملكة الحديثة على القيام بالفتوحات العسكرية وعلى نطاق واسع كل هذا مهد السبيل إلى قيام الامبراطورية المصرية في عهد السلالة التاسعة عشر والتي وصلت حدودها جنوباً إلى الشلال الرابع وباتجاه الشمال الشرقي إلى الفرات . ومما يذكر عن هذه الفترة هو انتقال الحكم إلى العاصمة طيبة مرة اخرى وإلى ارتفاع شأنها بين المدن المصرية باعتبارها مركزا لعبادة الاله (آمون رع) الذى كان مركز محل عبادته في الكرنك بالقرب من طيبة . وفي حدود (١٥٤٦ ق.م) خلف (احموسة) ابنه (امنوفس الإول) (١٥٤٥ — ١٥٢٥ ق.م) ولا توجد لدينا معلومات عما قام به من الاعمال ويظهر انه كان مقدساً ولا سيما في نظر احفاده فقد اطلق اسمه على احد اشهر السنة الذى لايزال متبعاً لدى اقباط مصر اليوم .

ومن بعده خلفه زوج ابنته (توحتمس الاول) (طوطمس الاول ١٥٢٥ — ١٤٩٥ ق.م) الذى قام بحملات عسكرية ناجحة في بلاد النوبة كما قام بحملة في الاتجاه الشمالي الشرقي وصل خلالها الى نهر الفرات الذى دعاه بالماء المقلوب وذلك لجريان الفرات في اتجاه معاكس لاتجاه نهر النيل . وكذلك توغلت جيوشه إلى حدود مملكة ميتاني آنذاك حيث اقام مسلة تذكارية هناك ، ويذكر الملك توحتمس الاول انه قتل عددا كبيرا من جيوش الاعداء واسر عددا آخر . والحقيقة ان هذه العمليات العسكرية الواسعة تدل على مقدرة عسكرية فنرى ان هذا الفرعون لم يسبقه إلى القيام بمثل هذه العمليات اى فرعون مصرى من قبل وخاصة في الاتجاه الشمالي الشرقي اى بلاد سورية وفلسطين ما عدا توحتمس الثالث الذى جاء إلى الحكم من بعده ولم يكن عند توحتمس الاول من زوجته الملكة سوى ابنة اسمها (حت شبسوت) التي تعتبر من الوجهة الشرعية الوريث الشرعي للحكم ولكنها من الناحية العملية لاتستطيع ان تحمل لقب

ملك وتتفرغ لاعباء المسؤولية وكان باستطاعتها عن طريق الزواج ان تخلع لقب الملوكية على زوجها ، ومن ناحية اخرى فقد كان للملك توحتمس الاول ولد من زوجة اخرى كانت ذات مركز ثانوي بالنسبة للزوجة الملكية ولاجل ان يحفظ الملك العرش لابنه هذا فقد زوجه من (حت شبسوت) وهي اخته من ابيه .

وقد تلقب الابن بلقب (توحتمس الثالث ١٤٩٠ – ١٤٣٦ق.م) وحكم توحتمس الثالث مع زوجته ولكن في الواقع كانت السلطة الفعلية بيدها حتى انها استمرت في الحكم ما يقارب ثمانية عشر سنة وقد تلقبت بلقب الملك وظهرت في احدى المنحوتات وهي ببدلة الملوكية وترتدي التاج المزدوج لمصر السفلى والعليا وآثارها في المعبد الخاص بها القائم حالياً في الدير البحري بالقرب من طيبة والذي يعتبر من المعابد الفريدة والشهيرة في مصر فهو بناء جميل مشيد بالحجر الجيري الابيض اسفل سفح الجبل وقد بني المعبد بهيئة مدارج مستند على اعمدة ويوجد داخل الجبل مقبرة الملكة ، وكذلك خلفت لنا هذه الملكة مسلة قائمة الى حد الآن ترتفع الى علو (٩٧,٥) قدم ويبلغ حجمها (١٨٠) ياردة مكعبة من حجر الكرانيت ووزنها (٧٠٠) الف باون وعندما انتهى حكم (حت شبسوت) في حدود (١٤٣٦ق.م) انفرد الملك توحتمس الثالث بالحكم وتلقب بلقب الفرعون وهي الصيغة التعبيرية للمصطلح المصري «القصر الكبير» والتي كانت في الاصل تطلق على القصر ولكنها اصبحت تستعمل بمثابة لقب رسمي للملك . وعندما انفرد الفرعون (توحتمس الثالث) في الحكم اظهر قابليات فذة كانت قد ظللتها شخصية الملكة (حت شبسوت) وقد عبر هذا الملك عن حقده للملكة (حت شبسرت) بانه قام بتحطيم تماثيلها ومسح اسمها من الكتابات حيثما وجدت في مصر كلها .

ومن ثم التفت الفرعون توحتمس الثالث الى الفتوحات العسكرية وكان تركيزه على الاراضي السورية والفلسطينية (١) والحقيقة بان جده الملك توحتمس

(١) احمد بدوي ، المصدر السابق ، ص ٤٠٧

الاول بدأ قبله باخضاع القبائل والمقاطعات في هاتين المنطقتين ولكن في زمنه حدثت ثورة وتمرد على السلطة المصرية هناك وكان مستوطنوا الاراضي السورية والفلسطينية من العرب الذين يعرفون بالكنعانين والاموريين والاراميين وتكون حلف من بين هذه القبائل العربية ضد السلطة المصرية وكان مركز تجمعهم في حصن قوي في مدينة « مجدو » في فلسطين العربية وقد تحرك الفرعون توحتمس الثالث بسرية ضد هذه القبائل وفاجأهم بأن سلك مضايق جبل الكرمل واشتبكت جيوشه معهم وقد وصلنا احد النصوص من زمن هذا الملك يتحدث عن هذه المعركة ان جيوش الحلف التجأت الى مدينة «مجدو» نفسها وان الجيوش المصرية حاصرت المدينة واستولت عليها . ونتيجة للعمليات الحربية التي قام بها « توحتمس الثالث» في السنوات اللاحقة من عمره فانه استطاع من توحيد سيطرة مصر في منطقة واسعة تمتد حتى نهر الفرات وعقدت معاهدة مع الدولة الخورية الميتانية اعترف لها بموجبها بسلطاتها على شمال سوريا وامارتي حلب وكركميش مقابل تامينها لمصر منطقة نفوذ على نهر الفرات وساحل بلاد الكنعانيين حتى مصب نهر العاصي وابقاء الامارات السورية الاخرى على حالتها بشرط ان تدفع الجزية للمصريين .

وقد انعكست انتصارات هذا الفرعون في ترانيم دينية تتحدث على لسان الاله « آمون رع » وهو يرجع « توحتمس الثالث» وكيف انه اعطاه القوة والنصر ضد كل البلدان .

قام هذا الفرعون باعمال عمرانية كان من اهمها توسيع معبد الاله آمون في الكرنك . وقد خلد توحتمس الثالث بعض انتصاراته الحربية ودونها على جدران احد ممرات معبد الكرنك كما انه اقام مسلات عديدة في الكرنك وفي غيره من الاماكن وقد نقل بعضها في ازمان متأخرة الى القسطنطينية ولندن ونيويورك .

وكانت معظم الانجازات العمرانية قد انجزت باشراف وزيره المسمى « رخميرع » كان هذا الوزير ذو سلطات واسعة فكانت كل الامور الادارية تقريباً تحت

اشرافه ومن اهمها الاشراف على الاعمال العمرانية . والحقيقة بان منصب الوزير كان منذ بداية السلالة الخامسة الا انه اصبح في العصور اللاحقة يعطى لشخص يختاره الملك بنفسه .

ولا بد لنا ان نتوقف قليلا هنا لنتحدث عن ارجه المعتقدات الدينية في زمن السلالة الثامنة عشر اذ وصلتنا مجموعة من اوراق البردي التي لها اهمية كبيرة بهذا الخصوص . ومن احسن البرديات مقطعاً من المجموعة وتعرف هذه المجموعة من اوراق البردي بين المختصين بكتاب الاموات ، وهذا الكتاب يرجع بدوره الى عصر الاهرام ، تتحدث عن الامور الدينية والى القوانين والعدل والى اعمال القضاة وعن تعاويذ السحر المختلفة .

يمتاز عهد « توتمس الثالث » بانه جعل لمصر الكلمة النافذة في بلاد الشرق الادنى مدة (٥٠) عاماً وتدل على ذلك الاخبار التي دونها على جدران معبد الكرنك في مصر وكذلك اقام مسلة امام معبد الاله الشمس في مدينة « هليوبولس » نقلها الرومان الى الاسكندرية في عام (١٣ق.م) وفي سنة ١٨٨٠ م نقلها الامريكان الى نيويورك .

توفي « توتمس الثالث » في السنة الرابعة والخمسين من حكمه ، في حدود عام ١٤٤٨ق.م . وجاء من بعده ابنه : امنوفس الثاني ، ولكن ليست لدينا معلومات ثابتة عن سنوات حكمه ونستطيع بالمقارنة مع الملوك الحثيين المعاصرين ان نضع حكمه بين سنة ١٤٤٨ و ١٤٢٢ ق.م وبالرغم من الكتابات التي وجدت منقوشة على معبد يعود لهذا الملك فتروي حملة ظهر سفينة عائدة من احد الموانيء السورية الى مصر فيها اسرى لامراء سوريين . كان هذا الفرعون مولعاً بالرياضة والصيد . وقد عثر على احد الالواح بالقرب من ابي الهول في الجيزة كتابات تتحدث عن بطولة هذا

الملك في فن الرماية ومقدرته الخارقة على اصابة الهدف ، وعندما عثر على جثته المحنطة في سنة ١٨٩٨م في وادي الملوك بالقرب من طيبة عثر بجانبه على قوسه الذي قال عنه بأن قوسي لايستطيع غيري من الرجال على شده .

وخلف هذا الفرعون على العرش ابنه (توتحتمس الرابع) الذي لم يدم حكمه اكثر من تسع سنوات وقد توفي شاباً تاركاً عدداً كبيراً من الاولاد وان اهم اثر لهذا الملك هو المسلة القائمة اليوم بين مخالب ابي الهول وعليها كتابه تذكر وفاة هذا الفرعون ، ويعتبر الملك « توتحتمس الرابع » آخر ملك هاجم سوريا . وفي عهده عمت مصر فترة من الاستقرار السياسي .

خلف هذا الملك امنوفس الثالث الذي يعتبر من الملوك العظماء في تاريخ وادي النيل كما دلت على هذا الكتابة المنقوشة على جدران معبد الاقصر . كما تم في عهده بناء المعابد للاله (آمون) في منطقة الكرنك والمباني الاخرى في الجهة الغربية من مدينة طيبة وفي عهد هذا الفرعون بلغ الفن ولا سيما فن النحت والتصوير على الواح الرخام والحجر درجة راقية حيث تظهر لنا الصور المرسومة فناً جديداً لم نعهد مثله في اي وقت يمتاز بالرقة وسمو الذوق والحرية في التعبير . ونلاحظ لاول مرة في زمن الفرعون امنوفس ظاهرة جديدة تطرأ على الدين تتعلق باعتقاد الشعب بالفرعون والصلاة في المعابد وهو نوع من الوعي الديني نلاحظه عند الملك نفسه بحيث أخذ يشك في كونه الهاً .

ولدينا من الرقم الطينية الكثير عن المراسلات السياسية بين ملوك وامراء الشرق الادنى التي جرت في زمن « امنوفس الثالث » وابنه « امنوفس الرابع » وهذه الرسائل لم تكتب باللغة المصرية وانما كتبت باللغة الاكادية ، اللغة الدبلوماسية انذاك وهذه (المراسلات) هي عبارة عن وثائق مكتوبة بالخط المسماري ومن ضمن هذه المراسلات الملكية رسائل وتقارير كان يوجهها امراء المدن السورية وملوك الكاشيين والميتانيين والحثيين الى فراعنة مصر . والظاهرة

البارزة في هذه المراسلات التي كانت تتداول بين هؤلاء الملوك هي مخاطبة كل منهم بكلمة اخي ولهذا فان مراسلات انعمارنة تقدم لنا صورة واضحة عن الحياة السياسية والاجتماعية في بلاد الشرق الادنى والمنطقة العربية بالذات . ونتيجة لهذه المكانة السياسية المرموقة التي كانت مصر تتمتع بها بين دول العالم القديم فقد أحتلت الديانة المصرية المكانة الاولى بين الديانات والمعتقدات السائدة في ذلك العصر

ثم تلاه في الحكم ابنه الملك « امنوفس الرابع » « اخناتون » (١٣٧٠ — ١٣٥٣ ق.م) وكان هذا الملك وصياً مشاركاً في الحكم مع ابيه وقد سمى نفسه « اخناتون » عندما بدل اسم الاله الشمس « آمون » الى « آتون » ومعنى اخناتون « المحبب للاله آتون » . لقد بدأت بوادر العصيان تظهر في سوريا وفلسطين ضد السلطة المصرية قبل مجيء « اخناتون » الى الحكم .

ان اهمية هذا الفرعون لاتظهر في المجال العسكري ولكنها كانت على جانب كبير من الاهمية في المجال الديني وتتلخص هذه الاهمية في ان اخناتون قد أكد عبادة الاله الواحد وهو اله الشمس الذي تصور انه قرص الشمس. والحقيقة فان عبادة الشمس كانت امراً شائعاً في وادي النيل قبل ظهور « اخناتون » بازمان طويلة حيث كان هذا الاله يلقب بخالق الانسان والماشية وسيد كل الكون ، وعندما اصبحت طيبة عاصمة مصر فان المعابد الضخمة التي شيدت للاله آمون في الكرنك اصبحت مركزاً دينياً للدولة واصبح يرأسها كاهن يأتي في مقدمة كهنة البلاد .

هذا والى جانب عبادة الاله الشمس كانت هناك آلهة متعددة ترمز ايضاً الى الشمس وكان الاله امون يمثل بهيئة كبش وكان رع بشكل صقر او اسد او قطة او تمساح او انسان يعلو رأسه قرص وفوقه ريش وعندما جاء « امنوفس » إلى الحكم لم يجد في كل هذه العقائد والاوصاف والصور المتقدمة لاله الشمس مايتفق وافكاره الدينية والتي كانت تتجه نحو مبدأ التوحيد أي عبادة اله الشمس الواحد ولهذا جاء « امنوفس » بعقيدة جديدة

تؤكد على الاله اتون ،وهو اسم قديم لاله الشمس الا انه غير شائع الاستعمال ، وقال بأنه الاله الوحيد الذي يرمز اليه قرص الشمس وبهذا فانه جرد اله الشمس من كل بقيه الاسماء والاوصاف والصور التي كانت تنسب اليه . وقد بلغ من شدة تحمسه لدينه الجديد انه غير اسمه من (امنوفس) إلى (اخناتون) واضطهد كهنة الاله آمون وابعدهم عن مناصبهم واكثر من هذا فقد مسح اسم هذا الاله من المعالم الاثرية في كل البلاد واخيراً نقل عاصمته من طيبة مركز عبادة الاله آمون واختار له عاصمة جديدة تبعد عن طيبة مسافة (٣٠٠) ميل شمالا واتخذها عاصمة له ومركزاً لعبادة الاله (آتون) واسمها القديم (اختون) اي (افق الشمس) وتعرف اليوم بتل العمارنة . غير ان اصلاحات اخناتون الدينية لم يكن يصاحبها اعمال وانجازات مهمة في الميدان العسكري او الاداري ولهذا كان انشغاله وانصرافه في الاصلاحات الدينية عاملا اسهم إلى حد كبير في تدهور الامبراطورية المصرية في زمنه اذ ساءت الاوضاع وانتشر السخط في داخل مصر واخذت اجزاء مهمة تنسلخ عن مصر في الخارج .

والحقيقة فان خير مايصور لنا حالة الاوضاع السياسية للامبراطورية المصرية في زمن اخناتون مايعرف برسائل تل العمارنة ويتضح من هذه الرسائل بانه في الوقت الذي كانت فيه الاوضاع تهدد بانسلاخ سوريا وفلسطين فان الحكومة المركزية في تل العمارنة لم تعمل شيئاً جدياً لتعزيز قوتها في هذا الجزء من الامبراطورية ومن ناحية اخرى ان كهنة طيبة اخذوا يشنون عليه حرباً عنيفة من الشغب وتحريض الشعب وتأليبهم عليه واتهامه بالزندقة والكفر . ومن ناحية ثالثة ان العقيدة الدينية التي جاء بها اخناتون لم تعمر بعد وفاته اطلاقاً ولم يكن لاخناتون ابن يرثه على العرش بعد حكم دام سبعة عشر عاماً ، ونرى ايضاً ان هذا الفرعون قد فشل في سبيل اعادة مجد الامبراطورية .

اتى إلى العرش بعد اخناتون زوج ابنته الكبرى في عام ١٣٥٣ ق.م وكان مريضاً وحكم مدة قصيرة حيث تروى النصوص ان اسمه اختفى. واعتلى العرش بعده (توت – عنخ – آمون) الصهر الثاني للملك اخناتون وزوجته الملكة (نفرتيتي) واستسلم هذا للعقيدة الدينية القديمة وهي عبادة الاله آمون حيث غير اسمه من توت عنخ آتون إلى توت عنخ آمون . ويظهر ايضاً ان هذا الملك قام ببناء معبد نقش على جدرانه صور الاحتفالات التي كانت تجري لحمل تمثال الاله آمون ، ولم يكن توت عنخ آمون ملكاً عظيماً يستحق الشهرة التي يحتلها في عالمنا الحاضر وكان السبب لشهرته هو عثور المنقبين على قبره عام ١٩٢٢ م في مقبرة وادي الملوك وعلى محتوياته من الاثار النفيسة التي كان قد نذرها للاله آمون . وقد ظهر من مومياته انه مات وهو شاب في سن العشرين وانه اعتلى العرش في سن صغيرة .

استولى على العرش بعد وفاة توت عنخ آمون وتسلم السلطة قائد عسكري هو « حارب حب » في عام ١٣٤٠ وعندما توفي هذا الملك جاء من بعده احد العسكريين ممن كانوا في خدمته وقد كان يدعى «رعمسيس الاول » ١٣٠٣ق .م ولم يحكم هذا الملك الاخير الا فترة لاتزيد عن السنة ، جاء من بعده الملك « سيتي الاول » « ١٣٠٢ – ١٢٩٠ ق.م» وفي زمنه حدثت اضطرابات في سوريا وفلسطين نتيجة ثورة الكنعانيين هناك ضد الحكم المصري فقد قام هذا الملك بارسال حملات عسكرية إلى هناك لتوطيد النفوذ المصري ، واستمر خليفته « رعمسيس الثاني » « ١٢٩٠ – ١٢٢٤ ق.م » من خلال حكمه الطويل بقيادة الحملات العسكرية الى سوريا . ومن اعظم المعارك التي خاضها ضد الحثيين تساعده قوات من المرتزقة في منطقة قادش الواقعة بالقرب من نهر العاصي والحقيقة ان هذه المعركة لم تكن نصرا حاسماً لهذا الفرعون ولعل الشهرة التي كسبها متأتية من انه استطاع تخليص جيوشه من اندحار ساحق وقد وقع « رعمسيس الثاني » معاهدة صلح بينه وبين الحثيين وتم زواج ابنة الملك

وساءت الاحوال بعد الاسرة الحادية والعشرين وبداية الاسرة الثلاثين .. وفي الختام فأنه بعد سقوط بابل ٥٢٩ ق.م على يد الفرس الاخمنيين ٢٨٧ أصبحت مصر تابعة لدولة الفرس وذلك عام ٥٢٨ ق.م ، ثم خضعت مصر لحكم البطالسة (اللغروس) تحت حكم الرومان .

الحثي من رعمسيس ... وبموجب هذه المعاهدة فقد بقيت الاجزاء الشمالية من سوريا بيد الحثيين والاجزاء الجنوبية للمصريين .

وبعد رعمسيس جاء للحكم سلسلة من الفراعنة يسمون الرعامسة نسبة إلى اسمائهم المتشابهة ويعتبر رعمسيس الثالث من اشهر ملوك السلالة العشرين الذي حكم في المدة ١١٩٥ - ١١٦٤ ق.م وقد قام هذا الفرعون بحملات حربية خاصة في جهة الحدود المصرية الشمالية والغربية وذلك لدرء الاخطار عن الامبراطورية وخصوصاً القبائل التي نزحت من مواطن استيطانها في جزر بحر ايجة وكذلك بعض المدن الكنعانية مثل جبيل واوغاريت ، راس شمرة ، وقد استطاع الملك رعمسيس من رد هذه القبائل . وبهذه المناسبة فقد خلد انتصاره بانشاء معبد كبير في السهل الغربي لمدينة طيبة الذي يعرف الان بمدينة هابو الذي بقيت اثاره محافظة على معالمها ولا سيما جدرانه الخارجية يصور لنا المعارك الحربية التي خاضها رعمسيس الثالث ضد المهاجمين .

انتهت حياة رعمسيس الثالث اثر مؤامرة دبرها نساء القصر ودفن في مقبرة الملوك بالقرب من معبده . وبعد رعمسيس الثالث جاء إلى الحكم سلسلة من الفراعنة حملوا لقب رعمسيس وكان آخرهم رعمسيس الحادي العشر ، ومما يقال عن هؤلاء بالاجمال ان حكمهم كان ضعيفاً ولم يتمتعوا بنفوذ قوي في الخارج ايضاً .

السلالات (٢١ - ٣٠) (١٠٩٠ - ٣٣٢ ق.م)

ساءت الاحوال في البلاد في عهد السلالة الحادية والعشرين وتدهورت سياسياً وثقافياً واقتصادياً وكان مقر الدولة في مدينة (طانس) او (طانس) في الدلتا والتي كانت مقراً للملك (سمنديس) وفي هذا العهد كان يحكم مدينة طيبة (حري - حور) القوي الذي تمكن من مد نفوذه ، و حمل الملك (سمنديس) على قبول عبادة الاله آمون ، ولدينا من النصوص ما تشير إلى ان سمعة مصر انهارت وضعفت في الخارج . وتتصف هذه الفترة من تاريخ مصر بوجه عام بانها فترة تعرضت خلالها بلاد وادي النيل إلى حكم سلالات

اجنبية من اصل ليبي او من الحبشة ، ومما يجدر ذكره عن السلالة الحادية والعشرين ان الفرعون كان يمارس سلطة ضعيفة جدا في مدينة طانس في الدلتا بينما كانت السلطة الفعلية بيد رئيس الكهنة لمعبد الاله آمون في العاصمة التقليدية (طيبة) وقد تأسست السلالة التي تلتها وهي (السلالة الثانية والعشرين) عندما استطاع احد العسكريين وهو من عائلة ليبية كانت تقيم في مدينة (هيراكيوبولس) من الاستيلاء على زمام الحكم واعلان نفسه فرعوناً على مصر وكان هذا الملك هو (ششنك الاول)(٩٤٥ – ٩٢٤ ق.م) وقد استطاع (ششنك) من قيادة حملة عسكرية إلى فلسطين والتدخل في شؤونها الداخلية وقد خلد انتصاره على منحوتة في معبد الكرنك . دامت السلالة الثانية والعشرين ما يقرب من قرنين من الزمن . (اما السلالتين الثالثة والعشرين والرابعة والعشرين) فقد كانت على درجة كبيرة من الضعف فساعد سوء الوضع السياسي على قيام حكم الاحباش . ان المعلومات عن هذه السلالة قليلة في المصادر الرسمية القديمة ولا تترك لنا هذه السلالات آثاراً تقدم لنا طابعاً خاصاً للفن في عهدها .

(اما السلالة الخامسة والعشرين) والتي عرفت بسلالة كوش وكان اغراؤها قد ظهروا في مدينة (نبتا) قرب الشلال الرابع وهي المنطقة التي سماها المصريون بـ (كوش) حيث استطاع امراء هذه المنطقة من الاستيلاء على مصر وعلى العاصمة طيبة ، تعتبر هذه السلالة خاتمة للدولة الحديثة وبداية للعهد المتأخر لبلاد وادي النيل .

(اما السلالة السادسة والعشرين) فانها تشمل الفترة من(٦٧١ – ٥٢٥ ق.م) اي من غزو الآشوريين لمصر حتى الاحتلال الفارسي وتشمل هذه الفترة تسعة ملوك مصريين اتخذوا من مدينة (سايس) في الدلتا عاصمة لهم .

ومن الامور المهمة في هذه الفترة هو ظهور الآشوريين وبلوغهم اوج عظمتهم وقوتهم وقد كان فراعنة مختلفون موقفاً معادياً تجاه القبائل العربية من الآشوريين وذلك بمساعدة كل دولة تقوم بمجابهة الآشوريين وفي الاخير

بتحريض الدويلات السورية على الاشوريين كما حدى بالملك الآشوري اسرحادون ، ان يجهز حملة على مصر في عام (٦٧٠ ق.م) فاحتلها بأكملها وجعلها مقاطعة آشورية لمدة سبع سنوات . وقد خلد هذا الملك الاشوري هذا النصر العظيم على مسلة سماها بمسلة النصر يظهر فيها الفرعون المصري اسيرا. الا ان المصريين ثاروا على الاشوريين وقضوا على الحامية الاشورية فقام الملك آشور بانيبال ، بقيادة حملة فاحتل مصر كلها وقد ذكر خبر هذه الحملة في اكثر النصوص ، الا ان الدولة الآشورية لم يكتب لها النجاح فسقطت في عام ٦١٢ واصبحت الامبراطورية الكلدانية سيدة الموقف في العالم.

وباحتلال الفرس لمدينة بابل في عام ٥٣٩ ق.م وتكوين ما يسمى بالامبراطورية الاخمينية التي تمثل حكم الاستعمار القديم في المنطقة دخلت مصر تحت الحكم الاخميني في عام (٥٢٨ ق.م) واصبحت مصر تابعة الى الامبراطورية الاخمينية واستمر حكم الفرس في مصر حتى عام (٣٣٢ ق.م) عندما احتلها الاسكندر المقدوني واصبحت مصر تحت حكم البطالسة في عام (٣٢٣ ق.م) بعد اقتسام امبراطورية الاسكندر واستمر حكمهم فيها الى عام (٣٠ ق.م) حيث احتلها الملك الروماني ، اوكتافيوس ، وبذلك بدأ ما يعرف بالعهد الروماني في مصر واستمر حكمهم فيها الى سنة (٦٣٩م) حيث تم تحرير مصر وارجاعها إلى الحظيرة العربية على يد القائد العربي عمرو بن العاص في عام (٢١) هـ في زمن خلافة الفاروق عمر بن الخطاب (رض).

١ـ الاهرام:

وهي القبور الشامخة التي بلغت اوج تطورها في عصر الاهرام ولا سيما السلالة الرابعة وكان الدافع الرئيسي لمثل هذا البناء هو اعتقاد المصريين بالحياة بعد الموت ورجوع الروح الى الجسم وبواسطة هذه القبور العملاقة تم الحفاظ على الجثث من العبث وللاهرام تجاويف عديد تشمل عدة مرافق متنوعة سواء كان ذلك داخل الهرم او تحت قاع الهرم فضلا عن الحاق مباني عديدة بالهرم كالمعبد اما دخول الهرم فكان من باب تقع على جانبه في مستوى اعلى من مستوى سطح الارض ويؤدي المدخل الى اروقة وممرات وفي نهايتها توجد حجرات وقد خصص احداها لتابوت الملك والبقية لخزن الادوات والاثاث واشهر الاهرامات هي اهرام خوفو وخفرع ومنكورع ملوك السلالة الرابعة وذلك في منطقة الجيزة ولا يعني انها الوحيدة بل هناك العديد من الاهرامات بيد انها ليست بهذا الشموخ وهي منتشرة في بعض مناطق مصر , ويعد هرم زوسر مؤسس السلالة الثالثة المدرج هو البداية الفعلية لهذه الاهرامات العملاقة ثم تحول الامر بعدها الى الاهرامات المنحنية , وبنيت الاهرام بجهود جبارة وبعدد كثيف من العمال ويشترط في بنائه ان يكون قرب النهر اولا" وقريب من العاصمة ايضا ويبدا العمل بحفر مربع في عمق مناسب ليكون اساسا لبناء الهرم وبهذا تكون القاعدة مربعة الشكل ذات زوايا قائمة تتجه اضلاعها نحو الجهات الاربعة وكانت الاحجار تنقل عادة من المقالع الى الحجرية كاحجار الكرانيت ويتم رفعها بعد تهذيبها على سدود ترابية منحدرة ومن عجائب بناء الهرم ان اضلاعه جاءت مضبوطة الشكل رغم عدم توفر الاجهزة الحديثة في البناء وان كان هناك انحراف فلا يعدو اكثر من ٨ انجات ويعتقد البعض انهم اعتمدوا النجوم ومواقعها في ضبط هذا الشكل.

٢ - الادارة:

تعتبر الادارة عاملا مهماً في تكوين المجتمع المصري القديم كنتيجة لنظام الحكم (الملكية) والطبقات والعائلة. وقد كان الجهاز الاداري في زمن الدولة

---

(١) كان على الفتى والفتاة ان يمرا بجميع مراحل الزواج المتبعة اليوم كالخطوبة والاتفاق على المهر والارتباط الحقيقي امام كاهن المدينة. فاذا ما تم العقد فللفتى ان يستلم فتاته من اهلها وباستطاعته ابقاءها في بيت اهلها حتى يحين الوقت الذي يراه ملائماً لاخذ فتاته. والفتاة تعتبر سلعة فالزوج يعتبر المالك لها ولا حق لاحد عليها من سلطان غيره، وكانت الغاية الاساسية المتوخاة من الزواج هي رغبة الحصول على اولاد وبالاخص الذكور. فالاب يزوج ابنه رغبة منه ان يأتيه ولد يحمل اسمه ويبقيه حيا بعد مماته ويقوم بدفنه ويقدم لروحه الضحايا والقرابين لكي تبقى بعد مراسيم الدفن ومع هذا التقديم والتكريم فلم تظهر في مصر عبادة الاباء والاجداد ولكننا نجدهم يهتمون كثيراً في شجرة الانساب ومعرفة تشعبات الاسرة والاقرباء وعددهم. ولعل ذلك من اسباب الاعتزاز بقوة الاسرة ومركزها الطبقي. والابن الاول هو الذي يقوم بمهمة دفن الاب وله الافضلية في الارث ويقدم على بقية الابناء ما لم يوص الاب بتقسيم الارث بالتساوي او حسب النسبة التي يوصي بها.

س / جهاز اداري في زمن بطالسة

منظماً تنظيماً دقيقاً ووصل الى درجة عالية من الرقي والتقدم بالنسبة لذلك العصر ولاشك ان هذه المرحلة الاخيرة من تقدم الادارة كانت نتيجة لمراحل عديدة تطور في خلالها المجتمع المصري من امارات صغيرة مستقلة ذات حكومة بخلفية وانه خاص الى نظام الولايات او المتصرفيات التي احتفظت باسمائها القديمة. ويرجع الفضل في تقسيم بلاد وادي النيل بقسميها مصر العليا ومصر السفلى والى نظام المتصرفيات إلى الملك مينس (منا) المؤسس الاول للدولة المصرية الذي وحد البلاد وقلل من نفوذ هذه الامارات وحولها الى متصرفيات وجعلها تتبع المركز الرئيس الاعلى في البلاد ومصدر السلطات والتشريعات. وكان في زمن السلالة الاولى شخصية حكيمة تساعد الملك في تنفيذ سلطاته وأوامره تعرف بالوزير وتخضع له ادارة جميع المتصرفيات وكان يشرف على القضاء والمحاكم بصفته قاضي القضاة. كذلك كان تحت امرته مجلس المستشارين العشرة الذين يشرفون بامر الملك على ادارة الجنوب (متصرفيات مصر العليا) وكانت مهمتهم تنحصر في تنفيذ اوامر الملك التي تأتيهم عن طريق الوزير في ادارة الاعمال العامة كشق الترع وفتح الطرق وانشاء المعابد والجسور وغيرها ثم جمع الضرائب وتعبئة الجيوش وقيادتها لاخماد الفتن والثورات التي تشب في مقاطعاتهم وكذلك الاشراف على مناجم الصحراء لتأمين سير القوافل فيها والقضاء على اعمال النزو ثم ادارة شؤون النيل كمراقبة فيضاناته وتأمين النقل فيه والحيلولة دون دخول العبيد إلى بلاد وادي النيل وظهر في زمن الدولة القديمة إلى جانب الوزير شخصية قوية هي رئيس مجلس المستشارين العشرة الذي صار يزاحم الوزير في سلطاته ونفوذه وفي كثير من الاحيان الملك نفسه.

ويعتقد المؤرخون ان هذا النوع من النظام الاداري كان مقتصراً على مصر العليا لوجودها لوجود طبقة النبلاء فيها التي انبعثت منها السلالة الملكية الاولى بخلاف مصر السفلى التي كانت تعتبر حتى بعد توحيدها على يد منا بلاداً محتلة. ولكن الحقيقة هي ان وجود الملكية فيها اغنى عن قيام المستشارين لحكم متصرفيات الدلتا اسوة بمصر العليا.

وقد نجم عن الادارة المركزية قيام ادارة مركزية خاصة لامور المال يشرف عليها الوزير كادارة مخازن الحبوب والهيمنة على شؤون الزراعة والاهتمام بادارة الحقول وجمع الحاصلات لتأمين معيشة السكان وتجنب المجاعة .

بقيت هذه التنظيمات الادارية على حالها في زمن الدولة المتوسطة ولكن طرأ عليها بعض التطوير في زمن الدولة الحديثة اذ قسمت البلاد الى قسمين جنوبي وشمالي بدلا من التقسيم القديم -مصر العليا ومصر السفلى- واصبح الجنوب يشمل المناطق الواقعة بين جزيرة الفيلة « الالفنتين وسيوط » «اسيوط» في الشمال اما الشمال فصار يشمل جميع المناطق الواقعة شمال اسيوط وعين لكل من هذين القسمين وزير اخذ هاي مدينة طيبة والاخر في مدينة هليوبولس. وبقيت ادارة المتصرفيات كما كانت عليه في السابق تحت اشراف موظف يعينه الملك واعطيت لادارة مخازن الحبوب اهمية اكثر من السابق لسعة انتشارها من بلاد النوبة الى بلاد الميتانيين وذلك للمحافظة على التوازن الاقتصادي في البلاد . كذلك تشعبت اعمال بيت المال واصبح له عدد كبير من الموظفين يخضعون جميعهم للوزير مباشرة ويتلقون الاوامر والتعليمات . ولدينا مصدران مهمان عن نظام الادارة واعمال بيت المال من عهد الدولة الحديثة ولا سيما في زمن الملك تحتمس الثالث حين وجدت نصوص مدونة على قبر وزيره رشي رع توضح جميعها الاعمال الادارية التي قام بها وتوزيعه للاعمال واختياره للموظفين الاكفاء والاوامر التي كان يصدرها اليهم من وقت لاخر . (١)

كما وجدت كذلك آلاف الرسائل التي كتبت لخدمة عدد كبير من الكتبة والموظفين تتناول جميعها الشؤون المالية في البلاد والاحصاءات الدقيقة عن دخل الدولة . وكان لدى الدولة المصرية القديمة ديوان خاص بحفظ الرسائل والوثائق التي تكتب بنسختين تحفظ كل منهما في عاصمة الشمال

---

(١) غوستاف لوبون ، المصدر السابق ، ص٥٦

وعاصمة الحرب ويشرف على هذا الديوان موظف يعرف بالأمين الأعلى لخزانة الكتب والرسائل والوثائق وله عدد من الكتاب يساعدونه في حفظ هذه المدونات وتصنيفها وتسجيلها .

الخط الهيروغليفي

هي نظام الكتابة في مصر القديمة. ظهرت اللغة الهيروغليفية لأول مرة في مخطوط رسمي مابين غامي ٣٣٠٠ ق.م. و٣٢٠٠ ق.م. وكان يسمي هيروغليفي. وكلمة هيروغليفية تعني بالإغريقية نقش مقدس ."sacred carving." وفي هذا المخطوط أستخدمت الرموز فيه لتعبر عن أصوات أولية . وأخذت الهيروغليفية صورها من الصور الشائعة في البيئة المصرية. وكانت تضم الأعداد والأسماء وبعض السلع . وفي عصر الفراعنة استعملت الهيروغليفية لنقش أو زخرفة النصوص الدينية علي جدران القصور والمعابد والمقابروسطح التماثيل والألوح الحجرية المنقوشة والألواح الخشبية الملونة . وظلت الهيروغليفية ككتابة متداولة حتي القرن الرابع ميلادي

الخط الهيروغليفي : هي أولى الخطوط التي كتب بها المصري القديم لغته وقد أشتقت كلمة (هيروغليفي) من الكلمتين اليونانيتين (هيروس (Hieros) (و (جلوفوس (Glophos)) وتعنيان الكتابة المقدسة حيث أنها كانت تستخدم للكتابة على جدران الأماكن المقدسة مثل المعابد والمقابر .. كما أنها كانت كتابة منقوشة تتم على الأحجار بإسلوبي النقش البارز أو الغائر على الجدران الثابتة وعلى الآثار المنقولة مثل التماثيل واللوحات والصلايات وتتكون الكتابة الهيروغليفية من مجموعة من النقوش المستمدة من الحياة اليومية فهي كتابة تصويرية بالإضافة لوجود حروف أبجدية وإن كانت أكثر تعقيدا من الأبجدية المعروفة الآن في اللغات المنتشرة فالأبجدية في الهيروغليفية تنقسم لثلاثة مجموعات.

*المجموعة الأولى : هي الحروف الأحادية (أي الحروف أحادية الصوت مثل الحروف المعتادة اليوم)

*المجموعة الثانية : الحروف الثنائية الصوت (وهي عبارة عن رمز أو نقش واحد ولكن ينطق بحرفين معا)

*المجموعة الثالثة : الحروف ثلاثية الصوت (وهي عبارة عن نقش أو رمز واحد ولكن يعني ثلاثة)

وذلك بالإضافة لمجموعة من العلامات الأخرى والتي لا تنطق نهائيا وإنما هي من أجل أغراض نحوية مثل تحديد المثنى والجمع والمذكر والمؤنث وبعض الرموز المؤكدة للمعنى والتي تعرف بالمخصصات.

الخط الهيراطيقي : أشتقت كلمة هيراطيقي من الكلمة اليونانية (هيراتيكوس (Hieratikos) وتعني كهنوتي حيث كان الكهنة هم الأكثر إستخداما لهذا الخط واللذي لم يظهر سوي تلبية للحاجة الملحة لخط أكثر بساطة لإستخدامة في تدوين النصوص الدينية من قبل كهنة المعابد على أوراق البردي ويعد تبسيطا للخط الهيروغليفي

الخط الديموطيقي : أشتق اسمه من الكلمة اليونانية (ديموس (Demos) (والنسبة منها (ديموتيكوس) وتعني الشعبي وهو كما يظهر من إسمة خط المكاتبات الشعبية في حياتهم اليومية وهو خط مبسط من الهيراطيقي.

الخط القبطي : وهو آخر الخطوط المصرية ظهورا وكلمة قبطي المشتقة من اليونانية (أيجوبتي) وتعني مصري ولم تظهر هذه الكتابة إلا مع غزو اليونانيين للأراضي المصرية حيث ظهرت الحاجة لوجود خط أكثر بساطة ليسهل التعامل ما بين المصري والإدارة اليونانية للبلاد فلجاء المصري القديم إلى الأبجدية اليونانية ليكتب بها لغتة المصرية مع إضافة سبع علامات مأخوذة من الديموطيقية حيث لم يجد ما يقابلها صوتيا في اللغة اليونانية.

:*:فك رموز الكتابة الهيروغليفية:*:

تعود المحاولات الاولى لفك طلاسم الكتابة الهيروغليفية إلى الاغريق. وقد ساد الاعتقاد لديهم ان الرموز الهيروغليفية هي رموز صورية. من كتابات الاغريق عن هذا الموضوع وصلتنا مخطوطة واحدة هي "الهيروغليفية" لمؤلفها هورابولون.Hieroglyphica of Horapollon

في أوروبا خلال العصور الوسطى لم يكن هنالك اهتمام باللغة الهيروغليفية الا أنه عام ١٤٢٢ وصلت مخطوطة هورابولون إلى البندقية مما أثار الاهتمام بها حتى أن بعض فناني عصر النهضة قاموا برسم رموز بناء لأوصاف هورابولون واستعملوها في رسومهم.

في عام ١٧٩٩م، اكتشف أحد الضباط الفرنسيين في جيش نابليون الأول لوحًا حجريًا بالقرب من مصب نهر النيل في رشيد بمصر. وقد احتوى هذا اللوح الحجري الذي سمي بحجر رشيد على نقش مكتوب بثلاثة خطوط: الخط الهيروغليفي المصري، والخط الديموطي المصري، والخط الإغريقي. وبقراءة الجزء الإغريقي في الحجر، عرف الباحثون بأن النص احتوى على مرسوم صادر في عام ١٩٦ق.م تشريفاً للملك بطليموس الخامس.

حاول الباحثون ترجمة الكتابة المصرية باستخدام طرق مشابهة للكتابة بالشفرة المستخدمة في العصر الحديث. في ١٨١٤م، اكتشف توماس يونج، وهو طبيب وباحث إنجليزي أن بعض الحروف الهيروغليفية هي إشارات صوتية. كما عرف الباحثون أيضاً أن الحروف الهيروغليفية تكون محصورة في حلقة بيضية تمثل أسماء أشخاص معينين. وفي عام ١٨٢٢م، حقق العالم الفرنسي جان فرانسوا شامبليون إنجازاً مفاجئاً لفك رموز الكتابة الهيروغليفية في حجر رشيد، فبدراسته لموقع وتكرار أسماء الأعلام في النص الإغريقي تمكن من معرفة وتمييز نفس الأسماء في النص المصري. بالإضافة إلى ذلك، ساعدت معرفة شامبليون بالقبطية، وهي لغة مصرية حديثة، على تمكينه من التعرف على كثير من الكلمات المصرية القديمة في القسم الهيروغليفي من النص. وفي آخر الأمر فك شامبليون رموز النص كاملاً.

وفي الوقت الحاضر، تُمكِّن كتب القواعد والمعاجم الباحثين من قراءة الكتابة الهيروغليفية بسهولة ويسر. إن الحصول على المعارف المتعلقة بالتاريخ المصري القديم كان سيصبح مستحيلاً تقريبًا لو لم يتمكن الباحثون من قراءة الكتابة الهيروغليفية.

التحنيط :

التحنيط عملية معقدة يقوم بها الكهنة للمحافظة على جثة المتوفي من التلف والجسم المعالج بهذه الطريقة يسمى بالمومياء . وللتحنيط تاريخ طويل في مصر ففي العصور القديمة كانوا يجففون اجسام الموتى بالشمس ثم يلفونها بالجلود او الحصران ويدفنونها في القبر وفي اوائل عهد السلالات نشأت العقائد الدينية الخاصة بالاله اوسيرس وبدأت المحاولات الاولى في التحنيط فكانوا يفتحون البطن ويخرجون الاحشاء الداخلية عدا القلب ويجففون الجسم بالشمس ويملحونه ثم يلفونه بقطع الكتان . ومنذ عهد السلالة الثانية تفننوا في التحنيط ولكن احسن عمليات التحنيط اجريت في عهد السلالة الخامسة وما بعدها واستمرت عادة التحنيط في العهد الروماني وبعد ظهور المسيحية ثم ابطلت في اواخر القرن الرابع للميلاد .

اختلفت اساليب التحنيط وتنوعت المواد المستخدمة فيه من عهد لآخر ، واحسن الطرق هي تلك التي استخدمت في تحنيط جثث الملوك والامراء والاغنياء وكانت تكلف غالباً وبموجب هذه الطريقة كان الكاهن يفتح شقاً في البطن بآلة حادة ثم يرفع الاحشاء الداخلية عدا القلب وينزع المخ من الجمجمة وتعالج الاحشاء الداخلية والمخ على حدة اذ تنظف وتضاف اليها البهارات والملح وتوضع في محلول الملح او النترون لمدة سبعين يوماً اما الجسم فكان ينظف بعناية ويغسل ثم يعالج بنبيذ النخيل ثم يملح ويوضع في محلول النترون لمدة سبعين يوماً فيذوب اللحم ويبقى العظم والجلد ثم يؤخذ من المحلول ويجفف ويمسح بالزيت ثم يحشى بخليط من المواد كالدارسين وزيت خشب الارز والصمغ والحنة والبصل وعرق النخيل ونشارة الخشب والزفت والقار والقطران وعدة انواع من البهارات ويستمر

هذا العمل لمدة شهر واحد ثم يلف الجسم باربطة من نسيج الكتان مشبعة بالراتنج ويستعمل شمع العسل لتغطية الآذان والعيون وفتحة الفم والانف والشق الذي احدثه الجراح في البطن . وهكذا يصبح الجسد هيكلا عظيماً مكسوا بجلد اصفر ولكن الوجه يظل محتفظاً بشكله الاصلي ويمكن التعرف عليه بعد عدة قرون واحسن مثال على ذلك مومياء الفرعون سني . وبعد اتمام عملية التحنيط تجري عملية التزيين فتعلق العقود والقلائد وتوضع الاحشاء والمخ في اربعة جرار مع الجسم في التابوت كما توضع نسخة من كتاب الاموات بين ساقي الجسد لارشاد الميت في حياته الثانية .

ومما هو جدير بالذكر ان الطب الحديث توصل الى معرفة بعض الامراض التي مات بسببها الاشخاص الذين حنطت جثثهم بعد دراستها كمرض البلهارزيا والسل والحصاة .

او جبل « الكفار » وهو فرع من سلسلة جبال طوروس ، في الشمال وتمتد الى سيناء جنوبا ، وتكون سلسلة جبال لبنان بمثابة المركز الرئيسي لهذه المنطقة . ان هذه الشقة الجبلية تكون عائقاً للمواصلات وخصوصاً في المنطقة الشرقية وربطها بالساحل ، ولايوجد غير منفذ واحد في الطرفين الشمالي والجنوبي في منطقة خليج الاسكندرونة حيث يتم الاتصال مابين – النهرين وفي خليج السويس الذي يجري الاتصال بواسطته مع البحر الاحمر والصحراء العربية .

وجبال الامانوس « جبل اللكام » هو التواء فرعي يمتد من جبال طوروس التي تفصل سوريا عن آسيا الصغرى ويحيط بخليج الاسكندرونة فيشكل حاجزا بين سورية وكليكية . ويشق نهر العاصي طريقة الى البحر في الطرف الجنوبي من امانوس وفي هذا الجبل طرق تؤدي الى انطاكية وحلب ، ويشكل هذا النهر الذي ينبع من الجبال النصيرية كما سماه المؤرخون العرب الحد الفاصل بين هذه الجبال وجبال لبنان كما انه يكون الحدود السياسية الحالية المصطنعة بين لبنان وسوريا .

وتعد فلسطين من الناحية الجغرافية امتدادا لجبال لبنان من الجهة الجنوبية ويمتد من جبل الكرمل الى جنوب يافا حتى يتصل بالساحل الفلسطيني ويستمر الى شمال صفد في منطقة الجليل الاعلى كذلك الجليل الاسفل « الادنى » يبدأ من قرب بلدة الناصرة وتنقطع قرب مرج ابن عامر اما السهول المنخفضة في سوريا التي تؤلف « البقاع » وهو سهل ضيق يمتد من نهر العاصي شمالا حيث يكون سهلا عريضا نوعا ما وهو مايعرف بسهل العمق وقد ذكر في المصادر الاشورية باسم « ارنقي » اما التسمية « البقاع » فهي تعني متجمع المياه الراكدة ، كما ان اسم بعلبك مأخوذ من كلمة بعل البقاع اى « سيد اورب البقاع » . ويستمر هذا السهل الى مدينة جساه.

وبين جبال لبنان الغربية والشرقية يعرف السهل باسم سهل البقاع الذي يستمر جنوبا الى الاردن اى الى منطقة البحر الميت ، ومن ثم يمتد الى

الرابع عشر قبل الميلاد . اما الاسم اليوناني لسورية فهي صيغة محورة عن اصل عربي قديم .

وتشمل جغرافية بلاد الشام خمسة مناطق (١) منطقة الساحل (٢) منطقة الجبال (جبال لبنان) ويأتي اسم لبنان من الاسم العربي الكنعاني بمعنى «البياض» . (٣) منطقة البقاع (٤) جبال لبنان الغربية (٥) البادية .

ان هذه الصفة البارزة لطبوغرافية بلاد الشام ، وهي تناوب الاراضي المنخفضة والاراضي المرتفعة بحيث تحاذي بعضها بعضاً وتتجه من الشمال الى الجنوب مكونة هذه المناطق والتي تمثل جغرافية بلاد الشام قد اثرت في حياة الانسان القديم الذي عاش فيها وبنى حضارته فيها .

وكان لموقع بلاد الشام الاستراتيجي المهم الأثر البالغ في تكوين الحضارة القديمة على اعتبار ان هذا الموقع يفصل بين القارات القديمة الثلاث وكذلك لوقوعها بين حضارتين غربيتين هي حضارة وادي النيل وحضارة وادي الرافدين

ان اول هذه المناطق المتباينة في جغرافية بلاد الشام هو السهل الساحلي الواقع الى الغرب والذي يمتد على طول الساحل الشرقي للبحر المتوسط من شبه جزيرة سيناء إلى خليج الاسكندرونة ..

ويرجع اصل هذا السهل الى ارتفاع قاع البحر القديم في ذلك العصر البعيد والساحل بكامله اكثر السواحل استقامة فلا يوجد فيه خليج نهري عميق الا في الشمال حيث خليج الاسكندرونة ذلك الجزء العربي الذي انسلخ عن الوطن الام واهداه الاستعمار إلى تركيا .

ويشرف على السهل الساحلي سلسلة من الجبال والهضاب والنجاد المرتفعة والتي تبدأ من جبال امانوس الذي تذكره المصادر العربية بجبل «اللكام» (١)

(١) فيليب حتي : تاريخ بلاد الشام ، ص ٣٣

العقبة وهي المنفذ الشرقي للبحر الاحمر . ثم ينخفض عند بحيرة طبرية تحت مستوى سطح البحر . ويختلف عرض هذا السهل من ٦ — ١٠ اميال ويرتفع بالقرب من بعلبك . ويوجد في القرب من هذا الموضع محل تقسيم المياه حيث يتجه العاصي وكذلك نهر الليطاني جنوباً ويكاد يكون متمما لمجرى نهر العاصي حيث يصب في البحر بين مدينة صور وصيدا .

اما القسم الرابع من اقسام بلاد الشام فهي سلسلة الجبال الشرقية وتبدأ هذه السلسلة في جنوب حمص وتكون في نقطة مقابل جبال لبنان الغربية وتدعى بجبال انتي لبنان او لبنان الشرقي . ان هذه الجبال تبدأ على طول واحد وارتفاع واحد حيث تبدأ بالانخفاض في منطقة جبل الشيخ الى هضبة الجولان والذي تحده وتجاوره من ناحية الغرب هضبة الجولان ومن هناك تمتد في منطقة الاردن . وفي تلال جلعاد وهضبة مؤاب المرتفعة وتنتهي في جبل سعير جنوبي البحر الميت .

ان هذه المنطقة اقل استيطانا من منطقة جبال لبنان الغربية وذلك لقلة الامطار فيها ويأتي نهر بردى من قرب الزبداني ويجرى شرقاً ويروى قسماً مهماً من اراضي الشام لولاه لاصبحت جرداء . ويمتاز في هذه المنطقة سهل حوران الذي تذكره المصادر الاشورية باسم حرانو ويمتاز سطح حوران في قسمه الاكبر بالصخور البركانية ذات التربة الغنية والتي تنتج القمح بكثرة ومراعيه جيدة غير انه قليل الينابيع .

وتدل الاثار المكتشفة في هذه المنطقة انها سكنت منذ عصور ماقبل التاريخ إلى العهود العربية الاسلامية حيث لاتزال بقايا الطرق والحصون والقنوات والصهاريج وتتصل هذه البقعة الى الجهة الجنوبية الشرقية من خلال منطقة البادية والحماد إلى منطقة الحجاز في شبه جزيرة العرب . ونظرا لكون هذه المنطقة تتكون من اراضي بركانية فلذلك دعيت باسم نخرات للدلالة على اسم البركان في اللغة العربية .

اما بادية الشام فتمثل القسم الخامس من اقسام سوريا الجغرافية ولعبت

دورا مهما في نشوء الحضارة العربية القديمة . وهذه البادية التي تمثل معدن العروبة الخالص شهدت سيلا عرما من القبائل العربية القديمة التي لعبت دورا كبيرا في الحياة السياسية والاجتماعية في منطقة الوطن العربي على امتداد الرقعة العربية فكانت هذه البادية رافدا مهماً للسكان حيث ترفد المنطقة العربية بدم جديد كلما احتاجت لذلك ، حيث تتصل هضاب حوران الشمالية الشرقية ومنطقة الاردن بمناطق السهوب في بادية الشام الكبرى التي هي امتداد لصحراء العرب الكبرى وتتصل هذه البادية بالعراق والتي تؤلف الباب الشامية العراقية رقعة شاسعة على هيئة مثلث تستند قاعدته في خليج العقبة من جهة الغرب وعلى منطقة الكويت من جهة الشرق ويمتد راسه إلى حلب في الشمال ويبلغ اكبر عرض له نحو (٨٠٠) ميل وهي موطن البدو يتاجرون مع المناطق الحضرية وعلاقتهم التجارية والعرقية مع موطن الحضارات في كل من مصر والعراق وسوريا تمتد إلى ابعد العصور فهم اهم مصدر للسكان خصوصاً عندما قامت الدول العربية القديمة في كل من هذه الاقاليم وتسلمت مقاليد الحكم .

اما اثر بلاد الشام في التاريخ والعوامل المؤثرة فيه ، فقد اصبحت لنا الصورة الجغرافية وموقعها المهم بالنسبة للاقاليم الاخرى واضحة ، فلذلك نستطيع ان نرسم صورة واضحة عن الحوادث السياسية التي مر بها هذا الجزء من الوطن العربي والتي اثرت تاثيراً مهماً في تاريخ سوريا وذلك لوضعها الجغرافي وسكانها وموقعها الاستراتيجي المهم فكانت عرضة للاخطار والغزوات من جميع الجهات الى جانب مجاورتها لاقدم مركزين حضاريين عربيين هما الحضارة البابلية والاشورية في العراق من جهة الشرق وحضارة وادي النيل من جهة الجنوب الغربي الى جانب تعرضها لغزوات اليونان والرومان والصليبين والصهاينة .

تعد بلاد الشام ملتقى التأثيرات الثقافية المنبعثة من مركز الحضارة

---

(١) كلد باتر ، المصدر السابق ، ص ٢٢٢

ان دراستنا لتاريخ بلاد الشام، تعتمد بالدرجة الاولى على التنقيبات والبحوث الاثارية الحديثة التي كشفت لنا عن امور لها جانب كبير من الاهمية منذ اقدم عصور ماقبل التاريخ والعصور التاريخية التي تمثل لنا آثار الحضارة العربية القديمة التي خلفها لنا الاموريون والكنعانيون (الفينيقيون) والاراميون والاقوام الاخرى هذا الى جانب المصادر الاخرى المدونة كاخبار التوراة وما ذكره الكتاب اليونان والرومان ، كذلك المصادر العربية الاسلامية ، هذا الى جانب الاثار المختلفة التي ضمتها بطون المدن الكبرى سواء في بلاد الشام أم في مواطن الحضارات القديمة الاخرى والتي وردت في الاخبار المدونة من حضارة وادي الرافدين ووادي النيل . ان هذه المصادر المختلفة قد اعطت للباحث مادة كثيرة الى جانب التمييز التاريخي للادوار المختلفة في تاريخ حضارة بلاد الشام وضبط التسلسل التاريخي الذي مرت به الحضارة ويمكن تقسيم هذه الادوار الى :

١ — عصور ماقبل التاريخ وتشمل :

أ — العصر الحجري القديم

ب — العصر الحجري المتوسط

جـ — العصر الحجري الحديث

٢ — العهود التاريخية (تمثل الحضارة العربية في حدود (٢٤٠٠ — ٥٣٣٨ ق.م)

أ — العرب الاموريون.

ب — العرب الكنعانيون (الفينيقيون)

جـ — العرب الآراميون

د — الدويلات الاخرى (العبرانيون)

٣ — الحكم الاستعماري القديم (الاخميني) ٥٣٤٨ — ٣٣٣ ق.م

٤ — الحكم الاستعماري القديم (اليوناني والروماني الذي بدأ باحتلال الاسكندر المقدوني سنة ٣٣٣ ق.م)

٥ — تحرير بلاد الشام واعادتها الى الحضيرة العربية وطرد الاستعمار القديم (٦٣٣ — ٦٤٠ م)

في وادي النيل ووادي الرافدين. كما ان هذه الحضارة كانت من اهم العوامل على عدم نشوء حضارة اصلية كحضارة العراق القديم ومصر القديمة. والشيء المهم ان الحضارة السورية كانت حضارة مزيجة من هاتين الحضارتين العربيتين وخصوصا عندما تسلم العرب الاموريون مقاليد الحكم السياسية في وادي الرافدين وكونوا مايعرف بالامبراطورية البابلية القديمة (العهد البابلي القديم) :

ونحن نعرف من خلال دراستنا للتاريخ وتعرفنا على النصوص التاريخية كيف ان بلاد الشام كانت في حوزة الامبراطورية البابلية والمصرية والاشورية والكلدانية إلى ان وقعت فريسة الاحتلال اليوناني والروماني. كذلك تعرضت البلاد السورية نتيجة الموقع الجغرافي والتاريخي إلى التأثيرات المختلفة من الاقوام الهندية الاوربية المتأتية من الاناضول وبحر ايجة وكذلك اليونانيين والرومانيين.

ولعل اخطر التأثيرات التي كونت تاريخها وطبعته بطابعه الخاص موقعها المجاور إلى مهد الاقوام العربية، جزيرة العرب، فكانت المحطة الرئيسة للعرب منذ اقدم العهود، ان هذه الصورة التي تبدو فيها بلاد الشام وهي متأثرة بالحضارات والثقافات القديمة تظهر فيها بلاد الشام وهي مؤثرة اثرا مهماً في تاريخ الحضارات البشرية ولذلك ان ابرز التأثيرات تكون من كونها مركزا مهماً لعب فيه العرب القدماء، كالكنعانيين والاموريين والاراميين، دورا مهماً في مساهمتهم في الحضارة البشرية عن طريق نشرهم عناصر الحضارة العربية القديمة بين شعوب العالم وعلى رأس ذلك نشرهم الحروف الهجائية وكونهم اول من اكتشف المحيط الاطلسي اضافة إلى مساهمة بلاد الشام المهمة في الحضارة اليونانية والرومانية حيث زودت سوريا العالم بعدد مهم من العلماء والمفكرين والشعراء والادباء. واخيرا لعبت هذه البلاد دورا مهماً في نشوء الحضارة العربية الحديثة منذ العهد الاموي والى الوقت الحاضر (متمثلة بميلاد الحزب القائد حزب البعث العربي الاشتراكي باعث مجد الامة العربية من جديد).

٢ ـ الكنعانيون :

الكنعانيون عرب استقروا في السواحل من بلاد الشام ونراهم منذ زمن قديم في الساحل الجنوبي منه يتقدمون نحو الشمال منذ اواخر الالف الثالث قبل الميلاد وكانوا حتى يوجدون في منطقة اوغاريت (رأس شمرة) .

ان الكنعانيين والاموريين قبيلة واحدة استقرت في بلاد الشام جنباً الى جنب الا ان الاختلاف الموجود يرجع بالدرجة الاولى في استيطان كل منهما في قسم خاص من بلاد الشام حيث تم التأثر بالحضارات التي سبقتهم في المنطقة العربية فالاموريون تأثروا بالحضارة العراقية القديمة (حضارة بلاد وادي الرافدين) اما الكنعانيون فتأثروا وأثروا في الحضارة المصرية القديمة (حضارة بلاد وادي النيل) وهذا ما نستنتجه من خلال دراسة التاريخ حيث نرى ان منطقة جبيل قد لعبت الدور الكبير في نقل التجارة والافكار الى بلاد وادي النيل منذ العهود القديمة .

أن اسم الكنعانيين مأخوذ من الكلمة العربية القديمة ذات الجذر (كنع) والتي تعني الارض الواطئة بالاشارة الى موطنهم اي الساحل وكان اسم بلاد كنعان يطلق في اول الامر على الساحل والقسم الغربي من فلسطين ولكنه استعمل بعد ذلك ليشمل قسماً كبيراً من سوريا وكل فلسطين (حتى التوراة تطلق على جميع سكان فلسطين اسم الكنعانيين) وهذا يدحض افتراءاتهم في الحق في فلسطين . وهناك اشارات عدة في مواضع كثيرة من بلاد الشام

(١) مورتكات ، تاريخ الشرق الادنى ، ص ٢٦٨ .
(٢) ط باتر ، المقدمة ، ص ٢٣٩ .

تشير الى قدم استيطان الكنعانيين في هذا الجزء من الوطن العربي فأسماء المدن تشير الى اصلها الكنعاني، اما كلمة (فونكس) التي تعني فينيقي بالاغريقية فمعناها الصبغ الارجواني الذي اشتهر الكنعانيون بتحضيره من الاصداف البحرية ومن هنا اطلق الاغريق هذه الكلمة على من تاجر منهم من الكنعانيين وهكذا اصبحت كلمة الفينيقيين ترادف كلمة الكنعانيين في نهاية القرن الثالث عشر قبل الميلاد .

سكن الكنعانيون في بلاد الشام في قرى ومدن زراعية تطورت الى مدن كبيرة عامرة تحفها اسوار عالية شيدت فوقها الابراج المنيعة حماية من غزوات العدو ونعرف من خلال دراسة التاريخ المقارن في المنطقة العربية وخصوصاً عندما ظهرت الامبراطوريات الثلاثة المصرية والاشورية والحثية في اواخر القرن الثالث عشر قبل الميلاد حيث تمتعت المدن الكنعانية بشيء من الاستقلال ، أن هذا الاستقلال لم يدم طويلا حيث خضعت الدويلات الكنعانية للسيطرة البابلية والمصرية والحثية .

ان هذه المدن الساحلية لم تتوفر لها الظروف الكافية لتكوين دولة كبيرة بل كانت تحت رحمة الامبراطوريات القوية المتصارعة ، هذا الى جانب ان هذه الدويلات لم يكتب لها ان تتوحد بسبب امتدادها الى اكثر من ٣٠٠ كيلومتر وصعوبة مواصلاتها البرية التي تعترضها وديان ومرتفعات كونتها السيول المنحدرة عرضياً من الجبل الى الساحل لذلك توزع السكان فيها على عدد من المدن احتل كل منها موقعاً ممتازاً للنشاط البحري او ارض داخلة في البحر ولم يجمع بينها اتحاد وتحالف بل اضعفها التنافر والتنافس اللذان قادا الى التحارب والقتال احياناً وهذا ما لمسناه عندما ناصبت مصر وصيدا بنوع خاص من العداء الطويل ولم يتح لمدينة واحدة حتى ولو استنادت الى الحق الاجنبي بمنافستها ان تبسط نفوذا واسعاً او دائماً .

لقد كشفت التنقيبات الاثرية الحديثة عن آثار تلك المدن العربية الكنعانية

في غزة « غزة أي القوة » وتعرف خرائب المدينة القديمة الآن باسم تل المجدل وعسقلان « عسقلون » واريحا التي يعني اسمها الكنعاني « يريحو » مدينة القمر ، وبيت شان « بيسان » اي بيت الاله شان ، والدوا او مجدون (اي المقطع) وعكا « عكو » التي تعني الرمال الجارة وهي عكا الحديثة ومدينة صور التوراتية (من سور او صور) اي الصخر والتي برهنت منذ القدم على قوتها وعظمتها وهي الآن تقوم بنفس الدور في مقارعة الصهيونية والانعزالية وصيدا نسبة إلى الاله صيدون (اله السمك عند العرب الكنعانيين) ومدينة جبيل التي لعبت دورا مهما في العلاقات السياسية والتجارية التي عرفناها في الرسائل المعروفة برسائل تل العمارنة عاصمة الفرعون المصري اخناتون

ان هذه التجربة السياسية لدول المدن الكنعانية في الشام قد لعبت الدور الكبير في مقاومة الغزاة ولم تستسلم بسهولة نظرا للتحصينات المهمة من قلاع وحصون دفاعية لدفع غائلة العدو الا أنها لم تسلم من ان تكون فريسة للعدو الخارجي مما حدا بها ان تتمركز في سفوح جبال لبنان للاستفادة من حماية هذه الجبال الطبيعية من خلفهم وخصوصا في جبل الكرمل وجبل الاقرع وجبل امانوس في الشمال وهكذا نشأت اهم المدن الكنعانية الدائمية في سفوح لبنان مثل طرابلس وبترونا وهي البترون وجبيل وبيروت . وقد ورد اسم بيروتا في رسائل تل العمارنة والتي تعني في الكنعانية (بئر) فهي جمع بئر وكذلك مدينة اور شليم (ان اسم اورشليم هو اسم كنعاني) مأخوذ من برو — شالم او برو — شلم ، وشالم او شلم هو اسم اله كنعاني بمعنى السلام هذا إلى جانب اسم اله اشوري هو شلمانو ، وهذا يفند المزاعم الصهيونية بادعاء هذا الاسم عبراني ..

ان هذه المدن العربية التي لم يكتب لها ان تتوحد الا انها كانت تتفق فيما بينها عندما تكون الاخطار محيطة بها فكانت احداها تزعم مثل هذه الاتحادات كما حدث لمدينة رأس شمرة في أواخر القرن السادس عشر قبل الميلاد وجبيل في القرن الرابع عشر قبل الميلاد وصيدا في مطلع القرن الحادي عشر ثم خلفتها صور وصارت اقوى الدويلات الكنعانية ولاسيما في عهد ملكها حيرام حيث كانت حصينة بسورين كما أنها كانت عبارة عن مدينتين مدينة في الساحل حيث يستوطن فيها الناس لادارة شؤونهم الاعتيادية كالتجارة والزراعة والاخرى قريبة ملاصقة يعتصم فيها السكان في أثناء الغزو والاخطار .

وخير مثال على زعامة المدن الكنعانية المنطلقة هو وقفتها امام مجاهل الطامعين وخصوصاً عندما قام الفرعون المصري توحتمس الثالث واشتبك معهم في معركة جادو على نهر العاصي وعندما عظمت قوة الآشوريين في المنطقة خصوصاً في عهد شلمنصر الثالث دخل الكنعانيون في اتفاق معهم وفي زمن الملك الآشوري اسرحادون تحسنت العلاقات بين الكنعانيين حيث ساعد هؤلاء الآشوريين على غزو مصر بان أمدوهم بالسلاح والسفن والرجال والمال .

وبعد سقوط الامبراطورية الآشورية وسيادة البابليين على المنطقة دخل الكنعانيون مع الدولة الجديدة بحلف جديد . ان الظروف السياسية آنفة الذكر لم تسمح للدويلات الكنعانية ان تكون دولة منظمة على غرار الامبراطوريات تستهوي بالفتح والتوسع الا انهم استطاعوا ان يبنوا حضارة راقية نتيجة المنة المالية والنشاط في المدن المحطات التجارية التي كونوها حيث لعب الكنعانيون الدور الكبير في اقتصاديات الشرق القديم سواء عن طريق الصناعة او التجارة الى جانب اهتمامهم بالزراعة والبستنة والصيد والرعي حيث استطاعوا الحصول بواسطة الزراعة المنظمة على اكثر المواد الغذائية التي شملت القمح والشعير والشوفان والعدس والباقلاء والكروم والزيتون هذا الى جانب تربية المواشي كالبقر والغنم والماعز واستخدمت المحاريث للزراعة وطحنوا الحبوب الغذائية بالرحى الحجرية وخبزوا في تنانير اسطوانية الشكل ونقلوا الماء من الآبار والعيون والجداول . .

اما الصناعة فكانت نشطة جداً ولم يتوصل اي قوم في العالم في ذلك الوقت الى ما وصلت اليه الصناعة الكنعانية لقد توجه الكنعانيون الى شواطئ نائية جداً بحثاً عن المواد الخام لتصنيعها فبلغوا افريقيا سعياً وراء طلب اصداف (الورقس) التي يستخرج منها صبغ الارجوان مما اتاح للكنعانيين الانفراد بصناعة الاقمشة الصوفية الملونة . وتشير النصوص المسمارية المكتشفة في نوزي «بلاد وادي الرافدين» الى جودة الصوف الكنعاني ، هذا الى جانب استعمالهم الصبغ القرمزي في صبغ المنسوجات الصوفية والكتانية والحريرية فكان هذا الصبغ يستخلص من نوع من الحشرات تعيش على شجر البلوط بعد تجفيفها واضافة محلول حامضي لها .

اما صناعة الخزف فلم تضاهيها صناعة على الاطلاق وذلك لاستفادتهم من التطورات الصناعية التي حدثت في الاقطار المجاورة فالاواني الفخارية صنعت بواسطة الدولاب الذي تعلموا استعماله من العراق اما اشكال هذه الاواني فقد كانت تجمع بين الاشكال المصرية والكريتية والقبرصية والعراقية ، هذا الى جانب صناعة الاواني المزججة والرخامية . اما صناعة المعادن فقد اظهروا فيها مهارة فائقة من حيث متانة الصنع ودقة عمل الالات والادوات النحاسية والبرنزية والذهبية والفضية ، هذا الى جانب مهارتهم بفن الصياغة لمواد الزينة من معادن الفضة والذهب والبرنز كالاساور والحجول والاقراط والمشابك وحلقات الانف ، هذا الى جانب صناعتهم لقطع من الفضة كانوا يتداولونها بدلا عن النقود المسكوكة على اساس الوزن لهذه القطع ، الى جانب صناعة الالات الموسيقية من المعادن كالقيثارة والناي والصنج والمزمار والدف ، كذلك مهارتهم في صناعة المواد الحجرية الجيدة والثمينة كالاختام والخواتم والخرز والصناعة العاجية اشتهرت في زمنهم وعملت منها رقاق الادعية ومواد الزينة والازرار هذا الى جانب صناعة الزجاج وما يترتب عليها

ان هذه الصناعة الكثيفة ومهارتهم فيها تحتاج الى اسواق عالية لتصريفها لذلك وجه الكنعانيون نظرهم الى البحر مستفيدين من الاخشاب في جبل لبنان لصناعة السفن التي كانت في بادىء امرها تستعمل لصيد السمك في السواحل وبيعها للمدن القريبة لذلك استفادوا من خبرتهم هذه في الملاحة ووسعوا سفنهم وتوغلوا بعيداً في البحر ونقلوا الى بلاد ثانية تجارتهم لذلك نراهم قد برزوا في التجارة وفي الاصول القانونية للتجارة الى جانب عملهم في نقل البضائع التابعة لغيرهم فقد برزوا في تقنية الملاحة التي تفوقت على كل تقنية اخرى ففي القرن الثاني عشر قاموا بجولة حول افريقية مرورا بالبحر الاحمر وجبل طارق استغرقت ثلاث سنوات وسلكوا طرقاً غير معروفة متقدمين بعيداً نحو الغرب ومكتشفين مصبات الانهار والمواقع الصالحة للجوء المراكب ومستطلعين شواطىء البحار المجهولة وسيطروا على الاحتفاظ باسرارها وقد نشطوا في كل مكان واقصوا كل من تسول له نفسه منافستهم ومستعدين لكل قوة تقف في طريقهم لذلك نراهم في القرن الثامن قبل الميلاد يؤسسون المستوطنات التجارية في حوض البحر المتوسط ..

لقد عرف الكنعانيون الملاحة الليلية واستعانوا بالنجوم وخاصة النجم القطبي وتجولوا بواسطة هذه المعرفة في كثير من السواحل وكانت سفنهم تتألف من طابقين يبرز منها في الامام عمود حديدي مدبب لمواجهة السفن الاخرى في حالة اللجوء الى القتال ، هذا وقد قدم الكنعانيون مساعدات لحلفائهم وخصوصاً الملوك الآشوريين عندما فتحوا بلاد وادي النيل .

هذا وكنتيجة لهذا الاختصاص التجاري الصناعي البحري جعلهم يوسعون من حجم السفن لكي تستطيع التوغل الى مسافات ابعد في اعماق البحار لانهم احتكروا تجارة البحر المتوسط كذلك احتكارهم لاكثر الطرق البحرية الموصلة بين العالم القديم آنذاك كذلك ان الكنعانيين هم اول من اكتشف مجاهل المحيط الاطلسي في العالم وقد قدموا خدمة للعالم بفضل انتشارهم وبفضل

---

(١) طه باقر ، المقدمة ، ص ٢٤٨

استراتهم في شرق اسبانيا والى قادس بعد مضيق جبل طارق وفي تموين الشرق بالمعادن ولاسيما القصدير كما انهم عرفوا العالم بحضارة الشرق ونشروا الى عالم ناء مظلم لم تكن قد وصلت اليه شمس الحضارة الثقافة لقد اسهم الكنعانيون اسهاماً فعالاً في تطور الملاحة سابقين بذلك البرتغاليين بهذه الاكتشافات الجغرافية باكثر من الف عام وخصوصاً عندما ساعدهم فرعون مصر (نيخو) في عام ٦٠٩ - ٦١٣ ق.م الذي حفر القنال القديم الذي يربط الفرع الشرقي للنيل بالبحر الاحمر . هذا الى جانب المحطات البرية في كل من الرها ونصيبين وسواتع على راس الخليج العربي حيث كانت لهم مدن في مناطق الخليج العربي تحمل اسماء مدنهم مثل ارواد وصور وصيدا .

وكنتيجة لهذا النشاط التجاري والبحري فقد اسسوا مستوطنات تجارية ما بين القرن الحادي عشر والثامن قبل الميلاد وذلك تسهيلا للاعمال التجارية والصناعية ومن اشهر تلك المستوطنات قبرص وسردينيا والعتيقة في تونس وقادس في اسبانيا في بداية القرن العاشر وقرطاجة في القرن التاسع قبل الميلاد وصقلية . لقد اقاموا هذه المستوطنات في بداية الامر على هيئة مراكز تجارية او صناعية ومن ثم بدأ بتوسيعها حتى تأخذ شكل مدينة تجارية تؤدي خدماتها الى العالم . ان هذه السلسلة من المستوطنات التجارية تتقارب فيما بينها لكي تأخذ المستقبل الزاهر للحضارة العربية الكنعانية . والمرجح ان اول مستوطنة تجارية كنعانية هي قبرص في شرق البحر المتوسط إلى جانب مستوطنة صقلية وسردينيا في وسط البحر المتوسط التي يرجح تاسيسها إلى القرن الحادي عشر قبل الميلاد . هذا إلى جانب المستوطنات في شمال غرب افريقيا واسبانيا وخصوصاً في القطر العربي التونسي واسمها القديم (عوتيقا) وقادس ، التي تعني الجدار في اللغة الكنعانية باسبانيا وقد انشأت حوالي ١٠٠٠ قبل الميلاد . هذا مازود تنا به النقوش الكنعانية التي وجدت في تلك المناطق .

ان الاكتشافات الجغرافية المهمة التي توصل اليها العرب الكنعانيون في منطقة المحيط الاطلسي وانشائهم المركز التجاري في قادس وراء اعمدة

هرقل (مقابل جبل طارق) قد جعلهم يكتشفون (الدائرة) (الاوقيانوس) الذي سماه العرب ببحر الظلمات ومنهم تعلم اليونان وتعرفوا بذلك البحر ، ولا نعلم بالضبط إلى اين وصل الكنعانيون في هذا المحيط الواسع حيث تضاربت الآراء بين المؤرخين مثل هيرودوتس وسترابون وديودور الصقلي ، حيث قالوا ان تجارة القصدير قد احتكروها واخفوا الطريق المؤدي اليها ، وخصوصاً في بريطانيا وفرنسا الا ان هناك جملة اسماء لعدة مواقع في اسبانيا ترجع في اصلها إلى اللغة الكنعانية الا ان الشيء المهم هو مدى الانتشار الكنعاني وتحقيقه التجاري والثقافي . الا ان اشهر مستوطنة كنعانية لعبت الدور الكبير سواء في الامور التجارية او السياسية هي قرطاجة بحيث اصبحت قوة دولية عظيمة كان لها دور مهم في التاريخ السياسي القديم ولاسيما علاقتها مع الامبراطورية الرومانية بحيث اصبحت من القوة والضخامة نتيجة علاقتها التجارية مع اقطار البحر المتوسط ، حتى اصبحت دولة مهمة بعد ان تدهورت مدن الكنعانيين في بلاد الشام (شأنها في ذلك شأن الدولة العربية في الاندلس بعد سقوط الشام وتأسيس الدولة العباسية) على يد الآشوريين والمصريين واليونان . ان هذه الدولة التي تأسست في القرن السادس قبل الميلاد واصبحت امبراطورية امتدت من ليبيا إلى اعمدة هرقل تضم اليها مجموعة جزر مثل مالطة وسردينيا وجملة من المستوطنات في الساحل الاسباني والفرنسي ، وهكذا عوضت هذه الدولة العربية عن وطنها الام في صور وصيدا .

ان هذا الاتساع العربي في البحر المتوسط بلغ مبلغاً بحيث ان الرومان حذروا من غسل ايديهم في مياه البحر المتوسط بدون موافقة قرطاجة ، ويقال ان الرومان قد قلدوا سفينة قرطاجية كانت متروكة على سواحلهم فبنوا على شكلها ١٣٠ سفينة لكي يغزوا قرطاجة .

ان هذا الصراع بين القوتين قرطاجة وروما في منطقة البحر المتوسط واصطدام مصالحهما التجارية ادت في النتيجة إلى قيام حرب طويلة دامت

اكثر من ١٠٠ سنة (٢٦٤ – ١٤٦ ق.م) وعرفت في تاريخ الرومان بالحرب البونية (نسبة إلى اسم الكنعانيين) وكانت آخر تلك الحروب حروب هانيبال الذي عبر جبال الالب ودخل ايطاليا وظل يحارب فيها زمناً طويلاً قدر بخمس عشرة سنة حتى وصل إلى روما ولكنه اضطر للرجوع إلى قرطاجة ليدافع عنها ضد حملة ارسلتها روما فالتحم الطرفان في موقعة (زاما) حيث خسر فيها هانيبال المعركة في سنة ١٩٦ق.م ولجأ الى المدينة صور ثم التحق بالسلوقيين اليونان واشترك معهم في حروبهم مع الرومان ، اما قرطاجة فقد غلبت على امرها وفرضت عليها غرامة باهضة الا ان الرومان لم يتركوها وشأنها بل اعلنوا عليها الحرب مرة اخرى ورفض اهل قرطاجة الاستسلام ودافعوا عن مدينتهم من شارع إلى شارع ومن بيت إلى بيت ولما دارت الدائرة عليهم بعد ان قاسموا اعظم مشقة من البطولة والتضحية اشعلوا النار في مدينتهم واكمل البرابرة الرومان تدميرهم المدينة فزالت قرطاجة من الوجود سنة ١٤٦ ق.م. وتم لروما استعمار البحر المتوسط .

الآداب والديانة الكنعانية

للكنعانيين فضل كبير على العالم وهو اكتشافهم(١) الابجدية اي الحروف الهجائية التي اقترنت باسمهم وان هذه الابجدية كانت مصدر الابجديات المعتمدة في كتابة لغات العالم .

لقد كانت الكتابة قبل طورها الهجائي صورية او مقطعية كالكتابة الميروغليفية « المصرية القديمة » او الكتابة المسمارية « العراقية القديمة » والتي امتازت بالتعقيد لكثرة العلامات وغموضها وعدم ملائمتها لتأدية الاصوات. اما الكتابة الهجائية فقد نشأت بين الاقوام العربية في سوريا ولم تظهر مرة واحدة ولا اقتصر نشوءها على مجموعة اقوام وانما ظهرت بصورة تدريجية وبين الاقوام العربية فقط . ان هذه الحروف المفردة والتي تشكل علامات يمكن اعتبارها اصل الحروف الهجائية في الوقت الحاضر .

---

(١) نيلب حتي ، المصدر السابق ، ص ١١٦

في تاريخه الى تاريخ ازدهار المدينة في القرن الرابع عشر قبل الميلاد. هذا الى جانب القصور الفخمة ذات الاعمدة المزينة بالنقوش وبجانب هذه القصور يعود الى احد ملوكها (نقماد) كما كشفت الحفريات الاثرية من هذه الالواح الكتابية المجانية والمكتوبة باللغة الكنعانية والتي جاءت على هيئة اساطير دينية هي اقدم نموذج للآداب الكنعانية وقد جاءت بعضها على هيئة اساطير شعرية تبين لنا احداها اسطورة النزاع بين إله الخير وإله الشر اي بين الآله بعل والآله أموت (إله الموت) ينتصر فيها الاله بعل المتمثل بالامطار والربيع. ترينا هذه الاسطورة الخاصة بالآله بعل والاساطير الكنعانية الاخرى ان اساس ديانة الكنعانيين عبادة القوى الطبيعية والخصب والزراعة وهي عبادات ظهرت بين افراد الشعب العربي كله اي بأقوامه الجزيرية فالاعتقاد بإله الخصب كان سائداً في بلاد وادي الرافدين وبلاد وادي النيل وتتضمن هذه العبادة البكاء والعويل والحزن على موته في الصيف عند موت النباتات ويستمر الحزن حتى يعود الاله بعل الى الحياة مرة ثانية وبعودته تكثر الامطار ويحصل الخير ويتزوج من آلهة الخصب عشتار وبهذا الزواج تخضر الارض ويأتي الربيع.

ولهذا الاعتقاد موازيات في الديانات الاخرى وهو يذكرنا بتموز وعشتار في سومر وبيهوا في الديانة اليهودية.

عند بعث الآلهة يجري احتفال عام يفرح فيه الناس لمدة سبعة ايام تكثر فيها المسرات وتكثر فيها الاحتفالات.

ان عبادة الطبيعة قد تمثلت بعبادة اله السماء آبل او بعل وآلهة الارض اشيرة اي عشتار ويتحكم الاول في المطر والزراعة والثانية بالحرب والحب اما رشاب اله النار فكانت كلمة الموت، كذلك عبد الكنعانيون ايضاً الاشجار وفي الغالب اشجار البلوط والصنوبر واستعانوا بالعمود المقدس والشجرة المقدسة بدلا من صنع الاصنام للآلهة، الا انه في قليل من الحالات كانوا يصنعون تماثيل للآلهة من معدن البرنز وخصوصاً للاله بعل وعشتار يبذر فيها بعل

رافعاً ذراعه الايمن الى الاعلى اما مشتار فتظهر عارية ممد ذراعها الى الجانب او تمسك بصدرها

شيد الكنعانيون معابد دينية اعتقدوا بانها بيوت يسكنها الالهة وكانوا يجتمعون فيها لتقديم فروض الطاعة لها وان اقدم المعابد الكنعانية يعود الى بداية الالف الثالث قبل الميلاد وهي تتألف من غرفة واحدة لها باب في الجانب الطويل حيث وجد مثل هذه المعابد في اريحا ومجدو وجبيل . وبعد منتصف الالف الثاني تطورت المعابد واضيف اليها مذبح حجري وعمود مقدس يمثل الاله والالهة وشجرة مقدسة تمثل الاله وغرف تحتانية . وجدت بقايا هذه المعابد في تل الجزر وبيت شان (بيسان) بالاضافة الى المعابد التي بنيت في المدن الكنعانية . وكان الكنعانيون افرحة على قمم الهضاب ..

وتدل عادة الدفن التي مارسها الكنعانيون وهو دفن الحاجيات العائدة الى الميت مع انها راجعة الى الاعتقاد بالحياة ما بعد الموت ولم يستعملوا التحنيط الا في حالات ضرورية وخصوصاً عند الملوك الكنعانيين وهذه تأثيرات مصرية واضحة . كذلك مثلوا الدولمنات ذات الاشكال الآدمية ترجع في تاريخها الى القرن السادس قبل الميلاد . كما جرت عادة دفن الاطفال في جرار فخارية حيث يكون الرأس في الاسفل ووضعوا هذه الجرار تحت ارضية الغرف اما البالغون فقد كانوا يدفنون في قبور عديدة على الطابق وتتجه رؤوسهم نحو الشمال وقد دفنت الاسلحة في قبور الرجال وادوات الزينة في قبور النساء .

الحضارة الفينيقية (٣٠٠٠ - ٣٣٤ ق.م)

إن الحضارة الفينيقية امتدت إلى أصقاع الأرض ذلك لأنها أول أمة بحرية في التاريخ. هذا الفضاء الذي ينمي عشق الحرية و يشحذ العزم على التحدي و تجاوز ما يخبئه البحر من ويلات، لهذا كانت الحضارة الفينيقية حضارة السيطرة على المحيط الطبيعي.

تاريخ الفين يقيون: احتل الكنعانيون منطقة بلاد الشام الواقعة بين البحر المتوسط و بلاد الرافدين، فسيطروا على معظم جزر البحر المتوسط حتى امتدت مستعمراتهم من قرطاج في شمال أفريقيا إلى كورسيكا و جنوب إسبانيا. أطلق عليهم اليونان اسم الفينيقيون Phoenix الذي يحمل معنى الأرجوان نسبة إلى اكتشافهم للصباغ الأرجواني. ضمت مستعمرات الفينيقيين بعض المدن الواقعة على الساحل السوري الممتد من أقصى شمال سوريا حتى جنوب فلسطين مثل صور، صيدون (صيدا)، بيروت، جبيل، أوغاريت، الإسكندرون، عكا... كما أنها ضمت مدينة قرطاج .

صيدا:

اتخذها الفينيقيون عاصمة لهم. انطلقوا منها ليؤسسوا محطات تجارية في دول عديدة و قد أثبت علماء التاريخ أن الفينيقيين وصلوا إلى أمريكا الشمالية و الجنوبية كما أنهم سبقوا كريستوفر كولومبس في اكتشاف القارة الأمريكية الشمالية بقرون عديدة. عرفت مدينة صيدا بتجارتها التي سيطرت على المنطقة خلال القرن الثاني عشر و الثالث عشر .

جبيل (بيبلوس)

اشتهرت جبيل بمكانتها الدينية و التجارية كما أنها عرفت بموطن ولادة الأبجدية الرومانية المأخوذة عن الكتابة الفينيقية. من الآثار الفينيقية الموجودة في مدينة جبيل: بقايا البوابات و الأسوار المحصنة للمدينة، و عدة هياكل و مقابر ملوك جبيل التي تقع تحت الأرض.

صور: انطلق منها الفينيقيون بقيادة الملكة أليسار و هي ابن الملك ميتينوس، ليؤسسوا مدينة قرطاج في شمال أفريقيا. أحرزت صور تقدماً في مجال التجارة مما جعلها تتفوق على صيدا. و قد عرف البحر المتوسط لفترة من الزمان ببحر صور. أما الآثار الموجودة في مدينة صور تعد قليلة، و منها: حاجز الماء و حائل الأمواج الذي يعد معزولاً عن ساحل المدينة، و مقبرة آحيرام الأول (الملك xالذي حكم صور) التي تبعد بضعة كيلومترات عن المدينة .

بعلبك:

أنشأها الفينيقيون في أوائل العام ٢٠٠٠ ق.م فبنوا فيها أول هيكل الذي أهدى لإله الشمس، بعل. و من هنا حصلت المدينة على اسمها. لكن الهيكل لا يمكن رؤيته الآن بسبب الأعمدة الرومانية التي بنيت فيما بعد في بعلبك. كانت بعلبك، على عكس المدن لأخرى، معزولة عن التجارة.

قرطاج:

أسستها الملكة أليسار . عرفت قرطاج بعاصمة المجد و ملكة البحار بسبب ما احتلته من مكانة عالية من الرقي و التمدن و الازدهار. امتازت هذه المدينة بالحيوية و البراعة و الإبداع. استطاعت أن تسيطر على المستعمرات المغربية كما أنها لعبت دوراً حضارياً في شمال أفريقيا و جزر البحر المتوسط و بريطانيا .

المعتقدات الدينية عند الفينيقيين:

اعتمد الدين الفينيقي السامي الأصل على الاعتقاد بظاهرة الخصوبة و الإنتاج. آمن الفينيقيون ببعض قوى الطبيعة التي أحاطت بهم، كما أنهم عبدوا الكثير الكثير من الآلهة. كان لكل مدينة إله يعبد. سمى الفينيقيون بعض آلهتهم نسبة إلى المدن التي أقاموا فيها. و من الآلهة التي عبدها الفينيقيون و قدسوها: إله القوى الكامنة (الإله إيل)، آلهة الخصب (عشتار)، إله المطر (الإله بعل)، الإله (أشمون)، الإله (إيسيس) . أما في قرطاج، فقد عبدوا آلهة الخصوبة و الإنتاج (تانيت)، و الإله (بعل آمون) بالإضافة إلى الآلهة التي عبدت في بلاد الشام. و قد استمرت عبادتهم حتى العهد الروماني. اعتقد الفينيقيون بالحياة الثانية فبنوا مقابرهم التي وضعوا فيها الميت بالإضافة إلى أدوات خاصة به للاعتقاد بأنها ستلزمه عند قيامه في الحياة الثانية. و قد امتازت هذه الأدوات بالبساطة فضمت بعض الأدوات المنزلية التي كان يستعملها الفينيقيون كالأواني الفخارية و المصابيح الزيتية. إلى جانب المقابر، شيد الفينيقيون معابد امتازت بالتأثر بالطابع اليوناني و قد اهتم بها الكهنة المتفرغون الذين عرفوا بتوارث الكهانة في عائلتهم.

نظام الحكم في فينيقيا:

تألفت فينيقيا من عدة ممالك و ضمت كل مملكة مدينة اعتبرت عاصمة لها. عرف نظام الحكم في فينيقيا الملكي الوراثي حيث كان يمثل الملك الآلهة و له السلطة المطلقة في إدارة شؤون المملكة التي يحكمها. أما كبار المدينة و رجال الدين والقضاة لعبوا دور مساعدو الملك في إدارة المملكة. أما الجيش فقد تكفل حماية المملكة و تأمين القوافل التجارية .

إنجازات الفينيقيون:

اختراع الأبجدية:

تعد اختراع الأبجدية من أعظم ما قدمته الحضارة الفينيقية للبشرية. ابتكرت هذه الكتابة عام ١١٠٠ ق.م و قد تألفت من ٢٢ حرفاً يمثل كل واحد منها صوت معين. سميت أيضاً بأبجدية جبيل. استعان الفينيقيون بالكتابة السومرية و المصرية القديمة ثم طوروها مع مرور الزمن. في البداية، كانت تكتب هذه الحروف على ألواح من الطين أو الفخار ثم فيما بعد، كتبت على أوراق البردى المصرية. لقد كتب الفينيقيون هذه الحروف من اليمين إلى الشمال (مثل الغربية) و نشروها في جميع بلاد العالم شرقاً و غرباً؛ ساهم في نشرها قدموس الصوري. أكسب اختراع الأبجدية فينيقيا مكاناً هاماً في تاريخ الحضارة . اكتشاف الصباغ الأرجواني: كان الفينيقيون أول من اكتشف اللون الأرجواني فاستخرجوه من أصداف المريق و هي نوع من المحار وجد بالقرب من الشواطئ الفينيقية. أدخل الفينيقيون الصباغ الأرجواني على أقمشتهم فاشتهروا بصناعة الأقمشة الأرجوانية اللون. صناعة السفن: كانت السفن الفينيقية عبارة عن مراكب شراعية تتألف من سارية واحدة، شراع مربع، و مجاديف يدوية. اعتمد عليها الفينيقيون في تجارتهم و أسفارهم و تبادل صناعاتهم مع الدول الأخرى المجاورة لها و البعيدة عنها . الحياة الاقتصادية في فينيقيا: ازدهرت الحياة الاقتصادية في فينيقيا بسبب تقدمها صناعة و تجارة و حرفة. تركز عمل الفينيقيين على البحر فعملوا بصيد السمك و الإسفنج و الملاحة و صناعة السفن. كما أنهم برعوا في صناعات عديدة منها صناعة العاج و الزجاج و الأقمشة الأرجوانية اللون و الزهريات الحادة القعر و الفخاريات. ساهم اطلاع الفينيقيون على صناعة الحديد (في الألف الثاني ق.م) في صناعة الخزف. كان الفينيقيون يقلدون الصناعة المصرية و الكريتية و الميسينية مما مكنهم من بلوغ منزلة عظيمة في الصناعة و الفن. بعض هذه الصناعات (الفخار و الزجاج) محفوظة الآن في متحف طرابلس. أما بالنسبة للتجارة في

فينيقيا، فقد بلغت أعلى درجاتها و تنوعت الأغراض التي تاجروا فيها فكان منها الصباغ الأرجواني و الأقمشة، الزجاج، المعادن، الفخار، النبيذ، الغار و الأرز، الخشب... كل هذه الأشياء كانوا يتبادلونها مع اليونان، إيطاليا، إسبانيا، و الجزر المتوسطية. كما أنهم خاطروا بالإبحار إلى أبعد من ذلك حتى وصلوا الرأس الأخضر في بريطانيا. - أصبحت فينيقيا أحد أغنى و أهم المقاطعات في الإمبراطورية الفارسية و استولى الاسكندر الأكبر على فينيقيا عام ٣٣٢ ق.م.

الأقوام الأخرى

العبريون :

لاتوجد اشارات تاريخية دقيقة وصحيحة عن العبريين ولايوجد كتاب تاريخي واحد يثبت علمياً ان العبرانيين هاجروا من جزيرة العرب على اعتبار انهم قوم واحد ذا صفة جنسية واحدة ام هم جماعات آمنت بديانة واحدة وجمعتهم ظروف واحدة .

ان هذه التساؤلات تحتاج الى دعم علمي واسع يعتمد على اسس تاريخية واضحة وتحليل الحقائق التاريخية من النصوص التاريخية المعاصرة للفترة الزمنية لهؤلاء القوم.

لذلك واستناداً إلى التحليل العلمي للتاريخ واستنباط الحقائق التاريخية العلمية وابتعاداً عن اقوال المؤرخين المتعصبين للصهيونية والمعادين والمخالفين على تاريخ الامة العربية والذين ابتعدوا ابتعاداً كلياً عن الواقع .. بل انهم زيفوا التاريخ وغطوا الحقائق التاريخية وشوهوها واعتمدوا على كتاب تحاسابير التوراة. ونحن لانريد ان نكون مغالين ومتعصبين ضد هذا الكتاب بل اننا نستطيع ان نرد على هذه الاساطير معتمدين اعتماداً كلياً على ماوجدناه به الحفريات التي دمغت هذه الاقاويل مع معرفتنا من خلال الكتب السماوية الاخرى ان هؤلاء قد حرفوا هذا الكتاب وكتبوه وفق اهوائهم. لذلك فلا يمكن ان نقع في نفس الخطأ الذي وقع فيه المؤرخون في اعتمادهم للمعلومات التاريخية من التوراة وحده. ونحن نعرف ان هذا الكتاب قد كتب على يد المؤرخين اليهود ليمثل وجهة نظر معينة لفترات مختلفة من الزمن، أي أرخ للحوادث السابقة بقرون عديدة مع العلم ان هذا الكتاب لم يصل الينا بالشكل النهائي المدون بل ان مادته قد مرت بعدة ادوار تطويرية من الرواية الشفهية ثم الانتخاب والحذف إلى المرحلة الاخيرة وهي مرحلة التدوين بالشكل الحالي.

اما الذين دونوا هذا الكتاب فهم كثيرون اشتركوا جميعاً في تدوينها وبفترات زمنية مختلفة ومتباعدة ومن ابرز هؤلاء المدونين والذين اثروا في الديانة اليهودية وفي تطورها الكاهن (كرهين) الذي كان يشغل معلماً ووظيفته الرئيسية تدريس الشريعة وتفسيرها وشرحها لليهود اضافة إلى عمله في الكهانة واقامة الشعائر الدينية وتفسيرها. هذا إلى جانب المدونين من الكهان والاحبار في فترات زمنية اخرى. لذلك فان الكتابات التاريخية لاتذكر الشيء المفصل الكثير عن هؤلاء القوم. وان الشيء الذي وصل الينا اعتمد اعتماداً كلياً على الاساطير العبرانية وخصوصاً قبل الاكتشافات الاثرية المهمة لذلك فنحن بدورنا لايمكننا الاعتماد من الناحية العلمية على هذه الاساطير، اذ اثبتت التنقيبات والابحاث الاثرية على عدم صحة اكثر الاساطير التي وردت في التوراة كما ان هناك ابحاث آثارية سواء في بلاد وادي النيل او بلاد الشام او بلاد وادي الرافدين قد برهنت بعكس هذه الاساطير بل سرقة مواد تاريخية تعود الى غيرهم انسابوها إلى انفسهم زيفاً.

وعلى هذا الاساس فان التاريخ العبري يمثل تاريخاً مزيفاً ومسروقاً ومفترض افتراضاً لايستند على اسس علمية ثابتة، بحيث نعرف من خلال دراستنا للتاريخ القديم وتحليل النصوص الكتابية ان ارض بلاد الشام بالمفهوم الواسع (سورية - لبنان - فلسطين - الاردن) هي ارض الكنعانيين والاموريين والآراميين والانباط والتدمريين، لذلك فاولئك العبرانيون الدخلاء الرحل او شبه الرحل ضموا في جنباتهم عناصر كنعانية وحورية وحثية وغير ذلك من العناصر المختلفة من مغامرين ومرتزقة وجنود لاارتباط عرقي لهم استقروا بالتدريج بين السكان الذين سبقوهم وتعلموا منهم مختلف النواحي الحضارية حتى اللغة تعلموها قراءة وكتابة بحيث اصبحت اللغة الكنعانية لغتهم الخاصة بل الاكثر من ذلك اصبحوا ابناء مظاهر كنعانية واضحة

(١) مورتكات، تاريخ الشرق الأدنى القديم، ص ٣.

في كل شيء وهذا مازودتنا به النصوص التاريخية، خصوصاً بعد حل رموز الكتابات القديمة والتوصل إلى قراءتها بصورة صحيحة تبين لنا الزيف التاريخي الذي ابتدعه هؤلاء القوم، فالنصوص تشير وبوضوح إلى الفترة المضطربة في بلاد الشام وخصوصاً فترة الصراعات السياسية بين ثلاث امبراطوريات في العالم القديم وهي الامبراطورية المصرية والامبراطورية الآشورية والامبراطورية الحثية بحيث تذكر هذه النصوص ان جماعة من المرتزقة الاجانب الذين يطلق عليهم في النصوص المسمارية (الخابيرو) اخذوا يتسللون البلاد من الجهة الجنوبية، وقد فسر بعض العلماء هذه الكلمة الاكدية (الخابيرو) مرادفة لكلمة عبري وعبراني بمعنى الذي يأتي من الجانب الآخر او بمعنى العابر وهذا هو عين الحقيقة في التاريخ، ويفند مزاعم المؤرخ الالماني الصهيوني شلوتز في عام ١٨٧١م في ادعائه ان العبرانيين جزء من القبائل السامية على اساس افتراض الساميين وجدوا في جزيرة العرب وباعتبار انهم نسل سام بن نوح متناسياً ان النصوص الكتابية في التاريخ القديم قد اثبتت عدم صحة هذه التسمية، ولكي يعطي دليلا شرعياً لهؤلاء المرتزقة الذين لم يروا جزيرة العرب في يوم من الايام ويعتمد بذلك على اسس مقولة متشابهة متناسياً ان هؤلاء القوم قد تعلموا اللغة الكنعانية في بلاد الشام هذا إلى جانب مازودتنا به التنقيبات الاثرية في بلاد وادي الرافدين بالمعلومات الوافية الصحيحة عن وجود سلالات لاتمت بصلة إلى هذا التقسيم خصوصاً السلالات السومرية بعد الطوفان(على اعتبار ان البشرية بعد الطوفان تكونت من اولادنوح: سام، حام، يافث..).

لذلك فالنصوص المسمارية المتأتية من اماكن كثيرة سواء من بلاد وادي الرافدين او في بلاد الشام تصف هؤلاء بانهم عبيد ومرتزقة باختيارهم أي يبيعون انفسهم لمن يشتريهم، كذلك وردت هذه الكلمة (الخابيرو) في النصوص المصرية القديمة في حدود ١٣٠٠-١١٥٠ بشكل (الخابيرو) او (افيرو) مما يعطي الدليل القاطع على انهم (الخابيرو) كذلك ورد اسم الخابيرو

في الكتابات(١) المتأخرة من الامبراطورية الحثية في عهد الملك الحثي مرسيليس الاول، حوالي ١١٠٠ق.م الذي استأجرهم كمرتزقة في جيشه، هذا إلى جانب ورود اسمهم في مراسلات تل العمارنة عاصمة الفرعون المصري اخناتون، وكذلك ورد اسمهم في مراسلات مدينة ماري (تل الحريري) الاموروية في بلاد الشام.

من كل هذه النصوص التاريخية نستدل وبالعلمية الواضحة واستخلاص الحقائق التاريخية ان هؤلاء المجموعة التي اطلق عليها اسم العبرانيين لاتمثل اسما عرقيا منحدرا من اصل واحد بل مجموعة من الرحل والاجانب وقطاع الطرق والاشقياء المستعدين لتلبية نداء الالتحاق إلى أي صف من صفوف الجيوش المتصارعة في المنطقة لقاء الاجر والحصول على المغانم، وهاهم اليوم يعيدون نفس الدور في المنطقة العربية.

لذلك ان هذه التسمية التي وردت في المراسلات الملكية للامبراطورية الحثية والنصوص العائدة إلى تلك الفترة لم يختلف اسمها عن اولئك العبريين الذين ذكرتهم التوراة، ونحن لو نظرنا اليهم من الناحية العرقية لوجدناهم كما هم اليوم لايشكلون ذلك الشعب ذو الخصائص العرقية الواحدة وانما هم اتحاد من عصابات اللصوص الصحراوية التي لا ارض لها بدأت تتجه إلى الارض الكنعانية العربية، وحدتهم ديانة واحدة هي ديانة الاله يهوا، مع الغموض الذي يحيط بتاريخهم في بلاد الشام رغم الكتابات التي تناولتها اقلام المؤرخين على شكل سجل اسطوري تقليدي، فالتاريخ من وجهة نظر اليهود يزعم ان هناك ثلاث هجرات رئيسية وهذه الهجرات مزعومة ومفترضة وغير علمية بوجه التأكيد وانما مستنتجة من مآثر عبرانية تمثل وجهة نظر خاطئة وذلك لعدم ثبوتها علميا ومخالفتها للوقائع التاريخية.

(١) اول هذه الهجرات المفترضة هي هجرة ابراهيم الخليل عليه السلام الذي رحل من اور إلى حران واقام في منطقة حبرون (الخليل) وترك وريثه

(1) Hitti, op - cit P. 178

اسحاق مع اعمال اسماعيل. وقد ورث اسحاق يعقوب، ومن يعقوب انحدر الاسباط الاثنى عشر، وبعد اقامة يعقوب في (فدان ارام) (حران) وقع عليه الاختيار الالهي ليكون احد الرسل في المنطقة وتغير اسمه فاصبح (اسرائيل).

(١) اما الهجرة الثانية فكانت تقترن مع هجرة الاراميين في القرن الرابع عشر قبل الميلاد.

(٢) اما الهجرة الثالثة فتتمثل في خروجهم من مصر بقيادة موسى ويوشع في حدود ١٢٩٠ قبل الميلاد (القرن الثالث عشر قبل الميلاد).

هذا هو مختصر تاريخ العبريين كما وصفه الكتبة والكهان اليهود واعتمد عليه المؤرخون في كتابة تاريخ العبرانيين مستندين على هذه الحوادث التي حدثت قبلهم بمئات السنين ومستندين كذلك على السماع والرواية الشفهية والاساطير والخرافات التي سبقتهم بزمن قديم، لذلك نراهم قد ابتدأوا تاريخهم بابراهيم وتوسعوا في قصة خلق الانسان منذ الخليقة مستندين في ذلك على مصادر بابلية حيث كشفت التنقيبات الاثرية في منتصف القرن الماضي عن زيف هذه الاساطير المنسوبة للعبرانيين كنتيجة للتفسيرات العلمية وحل رموز الكتابات المسمارية. ان هذا التاريخ مستنسخ من تاريخ الامم التي سبقتهم بمئات السنين، لهذا نستدل على ان التاريخ الذي كتبه العبرانيون في بداية حياتهم ليس بتاريخ يمثل تراث امة فمن السهولة الرد على هذا التاريخ واستخلاص الحقائق العلمية وخصوصاً في الاعتماد على مايسمى بدراسة التاريخ المقارن مع حصولنا على كثير من المصادر الكتابية خصوصاً في ما يتعلق بالدراسات المسمارية ودراسة العلوم الدينية الى جانب الدراسات الحضارية للتاريخ القديم في تلك الفترة الزمنية على اعتبار ان تاريخ الامة العربية لايجزأ الى تاريخ اقليمي.

---

(١) طه باقر، المقدمة، ص ٢٨١

فاول رد على الهجرة المفترضة التي جعلت من ابراهيم الجد القبلي للعبرانيين هي أن تاريخ ابراهيم قد سبق تاريخ الديانة اليهودية بمئات السنين حيث نعرف من دراستنا لتاريخ الجزيرة العربية وبلاد الشام وخصوصاً مايعرف بالهجرات الارامية واستيطانهم بلاد الشام وبلاد وادي الرافدين ، ان احدى الفروع الآرامية في القرن الثامن عشر قبل الميلاد قد استقرت في بلاد وادي الرافدين وعلى هذا الاساس ان ابراهيم ليس عبراني بل عربي آرامي استوطن بلاد وادي الرافدين ومن ثم هاجر الى حران المدينة الام للقبائل الآرامية حيث الثقافة المزدهرة التي نعرفها عن تلك المدينة من خلال دراسة التاريخ الآرامي ، كذلك نستطيع ان نستشف الحقائق من الهفوات التي وقعت فيها التوراة ، فكيف يعد العبرانيين يولد في منطقة ارامية من ابوين ارامين ويرحل الى منطقة آرامية ويتكلم اللغة الآرامية ويتزوج امرأة آرامية وهي (رفقة) الحرانية ، كما أن ابنه اسحق ولد في هذه المنطقة وتزوج ايضاً ، متناسين ان الكتابات التاريخية المعتمدة على النصوص المسمارية ستكشف هذا الدجل والزيف ، مع العلم ان التوراة تذكر أن الاجداد يتكلمون الآرامية ، فأين اللغة العبرية للعبرانيين التي اعتمد عليها الكاتب الصهيوني شلوتزر ... هذا الى جانب ماورد في القرآن الكريم حيث تقول الآية الكريمة : ﴿ما كان ابراهيم يهودياً ولا نصرانياً﴾ الخ الآية الكريمة . ان هذا الاستشهاد القرآني الى جانب الاستشهادات التاريخية تبين لنا أن هؤلاء العبرانيين حاولوا ان يكونوا لهم نسباً معروفاً يستندون عليه .

اما الهجرة الثانية التي رادفت دخول الهكسوس الى مصر فالكتابات التاريخية تفند تلك الهجرة وهذا ماعالجناه في فترة الحكم العربي في مصر في بحثنا عن الهكسوس في حضارة وادي النيل ، حيث نعرف ان الكتاب اليهود في القرن الثاني الميلادي سرقوا بعض كتابات المؤرخ المصري الكاهن (منيتو) الذي دون التاريخ في حدود ٢٨٠ ق م. ليرد على كتابة احد اساقفة الاسكندرية عندما كتب مقالة عن اليهود فوصفهم بانهم شذاذ افاق لايرجعون

الى ارومة واحدة وهذا ماحدا باحبار اليهود ان يدعوا زيفاً ... به الكتابات القديمة ويعتبروا انفسهم من بقايا الهكسوس معتمدين على ... يوسف بن يعقوب ومكانته التي نالها عند الحكام الهكسوس في مصر على اعتبار أن يوسف يمثل الجد لجدهم ابراهيم .

(١٢) اما الهجرة الثالثة فهي في الحقيقة اكثر وضوحا من الهجرتين المارة الذكر نظراً لورود هذا الحادث في اكثر الكتابات القديمة مع ذكرها في الكتابات الدينية الاخرى لذلك فمن الممكن أن نلقي بعض الاضواء على هذه الفترة من التاريخ السياسي القديم للمنطقة العربية وهي الفترة التي ذكرت في المآثر العبرية خصوصاً التوراة حيث تذكر ان الاضطهاد بدأ بعد طرد الهكسوس من بلاد وادي النيل على اعتبار ان هؤلاء العبريين هم من بقايا الهكسوس أتى اعطاء صفة جنسية لهؤلاء القوم متناسين ان الهكسوس كانوا قبل دخولهم مصر اصحاب دولة في بلاد الشام دخلوا مصر بجيش منظم وبأسس جاهزة لذلك فمن السهولة ان نكشف من خلال النصوص التاريخية الواردة في الكتابات المسمارية وفي كتب المراسلات الدولية بين ملوك الشرق الادنى القديم أي ما يعرف برسائل تل العمارنة في زمن امنوفس الرابع (الفرعون المصري اخناتون ١٣٧٧ ـ ١٣٤٥ق .م) مع ذكر الحوادث المهمة في التاريخ السياسي لبلاد وادي النيل في الفترة المعروفة بفترة الامبراطورية المصرية التي تأسست في حدود عام ١٥٧٠ وهي الفترة التي تم فيها انحسار حكم الهكسوس عن مصر والتي يذكرها اكثر المؤرخين مع التوراة بانها فترة الاضطهاد بالنسبة للتاريخ العبري مع العلم انهم أي المؤرخين يغالطون انفسهم وحتى التوراة في سفر الخروج تذكر بالنص الواحد « ان الفرعون لم يكن يعرف يوسف » (سفر الخروج الاول الثاني) . والفرعون هذا هو رعمسيس الثاني الذي حكم في الفترة مابين ١٣٠١ ـ ١٢٣٤ فاي فرعون تقصد التوراة (١) ؟

لذلك فقد حصل الخروج من مصر في عهد رعمسيس الثاني وعلى وجه التحديد في عام ١٢٩٠ قبل الميلاد ، فمن هذا التاريخ نستنتج الفرق الزمني

(١) فيليب حتي، المصدر السابق، ص ١٩٣

بين خروج الهكسوس من مصر في عهد الفرعون احموسة (١٥٧٠) ومابين الخروج بقيادة موسى في عهد رعمسيس الثاني (١٢٩٠) اي أن الفرق الزمني هو ٢٨٠ سنة فهل من المعقول ان يستمر هذا الاضطهاد الذي يقارب الثلاثة قـــرون .

لذلك فمن خلال دراسة الاحوال السياسية والاجتماعية والدينية في تاريخ بلاد وادي النيل وبلاد الشام والتي لها علاقة بهذا الخروج نستشف الحقيقة التاريخية لعملية الخروج من مصر وهي أن الثورة الدينية التي قام بها الفرعون المصري امنوفس الرابع (اخناتون ١٣٧٧ — ١٣٤٥) قبل الميلاد حيث قلبت الديانة المصرية من عبادة آمون الى عبادة الاله الواحد المتمثل بقرص الشمس آتون وتدخله المباشر بشؤون الدين واعمال الكهنة ولاسيما كهنة المدينة المقدسة هليوبولس والسبب في ذلك يعود الى تأثره وتثقفه على يد كهنة مدينة هليوبولس اصحاب الكره النقلية لكهنة طيبة واتهامهم بالتلاعب بأمور الدين واستغلاله للتدخل في شؤون الدولة وبسط نفوذهم على الملك والشعب مما حدى باخناتون عند تسلمه العرش الفرعوني باحداث انقلاب في التعاليم الدينية وتطبيقها على اسس التعاليم التي تلقاها من كهنة مدينة هليوبولس وهي تجريد رمز الفرعون المقترن بالشمس والذي يتمثل في جسم انسان برأس صقر يحمل فوقه قرص الشمس بحيث ازال هذا الرمز وابقى قرص الشمس وحده واضاف الى الشمس شعاعاً جعله يتساقط على وجه انسان وينتهي في راحة يديه رامزاً بذلك الى الحياة التي هي من خصائص الاله الشمس .

على اثر ذلك بدأ اخناتون ثورته الدينية وهي عملية التوحيد ونبذ عبادة الاله آمون وعبادة الاله الشمس وحده المتمثل باتون ، اي بالمعنى الواسع كانت هذه اول دعوة الى التوحيد .

وتضمنت التراتيم التي وضعها اخناتون معتقدات وآراء ترددت بعد ذلك باجيال في ديانة اليهود المرتبطة بهذا الحادث وخصوصاً المزامير المنسوبة الى داود وهذا دليل قاطع على ايمان هؤلاء النفر بهذه الفكرة وتعرضهم

للاضطهاد وبعد وفاة هذا الفرعون وخصوصا ان الفراعنة الذين جاءوا بعد هذا الملك الذي لم يخلف وريثا على العرش من بعده قد نبذوا عبادة التوحيد وبدأوا يرجعون الى ديانتهم السابقة وهي عبادة آمون واضطهاد كل من ادان بالدين الجديد وهذا هو سبب الاضطهاد الذي تتكلم عنه التوراة

اما دعوة موسى فقد لقت اذناً صاغية عند هؤلاء القوم لتخليصهم من الاضطهاد الذي بلغ اشده في زمن رعمسيس الثاني اي بفترة حكمه ٥٠ سنة منذ وفاة اخناتون الى الخروج من مصر عام ١٢٩٠ قبل الميلاد . وهناك اشارات تاريخية تشير الى ان موسى قبل تبلغه بالرسالة السماوية كان احد اتباع الفرعون اخناتون لذلك نرى ان الظروف السياسية اصبحت غير مواتية لوجوده في مصر فعزم على الهروب الى شبه جزيرة سيناء حيث الامان اكثر نظراً لوجود القبائل العربية في تلك المنطقة وعدائها التقليدي لبلاد وادي النيل مما مهد الامان الى موسى في « مدين » الواقعة في جنوب صحراء سيناء : تزوج موسى ابنة شعيب الذي كان يعبد الاله ياسم يهوا وهو اله من آلهة بدو العرب الشمالية وفي هذه المنطقة تلقى موسى الرسالة الالهية فعاد الى مصر يدعو الناس الى الديانة الجديدة المتمثلة بعبادة الاله الواحد .

بدأ موسى يبث دعوته في مصر وكانت الدعوة عامة وليست خاصة فهي كأي ديانة سماوية تستقطب من يشاء ويتركها من يشاء ، يساعد موسى على ذلك درايته باللغة المصرية .

وهناك من يشير الى اصل موسى المصري معتمدا على التسمية لورود هذا(١) الاسم ودخوله في كثير من الاسماء المصرية الذي يعني باللغة المصرية (ابن) وربما كان يسبق اسم موسى اسم آخر اي ان الاسم مركب مثل آمون موسى واحموسي ورع موسى وطحموس ... وقد حذف الاسم الاول لموسى وجرد من صفة الوثنية وهو امون فبقي الاسم موسى ليدل على انه لايخضع الى اي اله غير يهوا (الله) وبالنسبة للالة يهوا لايعرف اصلة فالباحثين قد اختلفوا

(١) ط. باتر ، المقدسة ، ص ٢٨٤

٥٧

ايضا في اصله فمنهم من يعتبره من الآلهة المقترنة بالبراكين ، وبعضهم اعتبره اله القمر حيث معبده ومسكنه في الخيمة وتدور طقوس عبادته على الاعياد وتقريب الذبائح كقرابين له ، اما الاسم يهوا فلا يعرف اشتقاقه بوجه التأكيد وربما قد تكون من الفعل «هوه» بمعنى احدث .

لذلك عزم موسى على الخروج من مصر مع الجماعة التي آمنت به والتي تحوي على عناصر مختلفة الاجناس تجمعهم رابطة واحدة هي رابطة الدين الجديد المتمثل بعبادة الاله يهوا ، اي ان وحدة مايسمى بالشعب العبري تجسمت في الاسم فقط لا بالاصل المشترك بحيث وجب عليهم التعاون اذا اريد لهم النجاح بمعنى اوسع ان الديانة الجديدة انفردت منذ نشأتها بعبادة اله واحد من الالهة وهذا ماجعل قائدهم موسى يعاد الها ظهر له في شبه جزيرة سيناء المتمثل بيهوا وقد دعوه ايضا بأيلوهيم وهي صيغة الجمع لكلمة ايلو التي معناها اله لانهم جعلوا منه مجموع كافة القوى الالهية .

بعد مغادرة موسى واتباعه ارض مصر في اوائل القرن الثالث عشر قبل الميلاد قضوا عدة سنوات في سيناء بجوار عين قديس على بعد ٥١ ميلا جنوب بئر سبع حيث تعرضوا لمتاعب كثيرة في تلك الصحراء المخيفة والجديدة عليهم بحيث ظلت تخاوفها تراود العبرانيين عدة اجيال وهذا مايعرف بالتيه ، الذي استمر اربعون عاما وفي خلالها موسى في شبه جزيرة سيناء واختلط كثير من هؤلاء الاقوام بالقبائل العربية الشمالية ولاسيما ابناء مدين من العموريين . وفي حدود عام ١٢٥٠ قبل الميلاد بدأت هذه الجماعات البدوية المنحدرة من اخلاط العشائر تبحث عن ارض في الجهة الجنوبية الشرقية من بلاد الشام على في بادية شرق الاردن وهدفهم احتلال الارض الخصبة وكان عددهم لايتجاوز الستة آلاف شخص على اعتبار ان الصحراء لاتكفي في شروط حياتها إلى اكثر من هذه الكمية اضافة إلى الصعوبات التي لاقوها في عملية عبور صحراء سيناء وما صادفهم من اهوال ومصاعب بالاضافة إلى مناوئة السكان العرب الاصليين وخصوصاً الكنعانيين والاموريين .

وكان هؤلاء البدو متعطشين إلى ارض يستقرون عليها لذلك نراهم يحرزون بعض الانتصارات على احدى الدويلات الامورية في شرق الاردن مستغلين الصراعات السياسية والحربية بين الدويلات السورية اضافة إلى الصراع الدولي المتمثل بالآشوريين والمصريين والحثيين على المنطقة ، فبدأ القوم الدخلاء يتغلغلون تغلغلا سلمياً بطيئا إلى الارض العربية في بلاد الشام ، وبعد ان حصل القادمون الجدد على محط رجل في الارض المزروعة بدأت قوتهم تزداد بالتدريج وخصوصاً بالتزاوج مع عناصر قديمة في المنطقة لذلك بدأت المعارك مع الدول الكنعانية والامورية بحيث اعطت التوراة حقائق مشوهة ومبالغ فيها ونحن نعرف ان دويلاتهم مااستطاعت الدخول في حروب مصيرية مع الكنعانيين وذلك لعدم مقدرتهم على خوض مثل هذه الحرب اضافة إلى تفوق الكنعانيين بالعدة والعدد وخصوصاً استعمالهم الاسلحة الحديدية التي لم يعرفها القادمون الجدد الا بعد حين وخصوصاً في عهد داؤود اى الالف الاول قبل الميلاد بحيث تهيأ لهم معرفة صنع الاسلحة الحديدية أضافة إلى ضعف الدويلات في بلاد الشام ، حيث تم لهم تأسيس دويلتين صغيرتين في الاجزاء الجنوبية من بلاد الشام بعد احتلالهم لبعض المواقع الكنعانية ، الا أن التوراة تبدأ باعطاء صورة غير حقيقية ومشوهة للحقائق التاريخية في تلك الحقبة من الزمن بحيث دولت هاتين الدويلتين واعطتهما مكانة من العظمة والقوة بحيث عدتهما بمصاف الامبراطوريات متناسية ان التاريخ سيكشف هذا الزيف الواضح وخصوصا ان بلاد الشام لم تقم فيها دولة معظمة واحدة وذلك لوجود الدول الكبرى المتمثلة بالامبراطوريات وخصوصا الامبراطورية الاشورية والمصرية التي عاصرت زمن تأسيس هذه الدويلة وعاصرت الأحداث السياسية في المنطقة والتي كانت هاتان الدويلتان من ضمن ممتلكاتها في بلاد الشام. وهذا ماتشهد به التوراة وتغالط نفسها ، اضافة إلى ذلك ان الوثائق التاريخية لاتدعم هذه الافكار التي جاءت بها التوراة .

والشيء الذي يعرف ان الازمات التي تعرض لها القادمون الجدد في صراعهم مع السكان الاصليين المتمركزين في دول مستقلة يحكمها امراء وحكام وملوك قد عملت هذه النظم والافكار السابقة إلى ان يقتبسها الدخلاء الجدد بحيث ادت هذه المفاهيم إلى ظهور نظام الملكية الثيوقراطية عندهم وهذا ماتذكره التوراة في سفر صاموئيل وفي سفر الملوك وكان اول ملك لهم هو شاؤول في عهد آخر القضاة والذي كان تابعا في حكمه إلى الكنعانيين الا أنه حاول الاستقلال فلم يستطع حيث قتل في احدى المعارك مع الكنعانيين فورث الحكم داؤود ثم سليمان وكان داؤود تابعاً في حكمه إلى الكنعانيين الا أنه استغل الظروف السياسية واستقل في النهاية واورث الحكم لسليمان الذي لم يستطع ان يوسع دولته اكثر مما استلمها من ابيه وذلك لتدخل فراعنة مصر في شؤون بلاد الشام هذا إلى جانب ان الدويلات الارامية في بلاد الشام كانت تهدد سليمان في المنطقة لذلك فان دويلة سليمان انقسمت بعد وفاته على نفسها إلى قسمين ولم تستطع مجابهة الدول في صراعاتها فسقطت على يد تجلاتبلاسر الثالث ملك الاشوريين في عام ٧٤٥ قبل الميلاد فتلاشت دويلتهم إلى الابد وذلك بعد ان قام سرجون الاشوري وخلفه سنحاريب الذي حكم من ٧٠٥ - ٦٨١ ق.م بسلسلة من الحملات والعمليات الحربية ضد الدويلات السورية جميعها وبلغت اوج قوة الهجمات الاشورية عام ٧٠١ قبل الميلاد ضد الدويلات السورية التي دخلت في تحالف مع المصريين ضد النفوذ الاشوري وكانت النتيجة انكسار هذا الحلف وتمت السيادة للاشوريين على المنطقة مما ادى إلى تقلص الدويلات السورية نتيجة الغزو الاشوري واصبحت هذه الدويلات من ضمن الممتلكات الاشورية واخذت بدفع الجزية السنوية بانتظام إلى الحكام الاشوريين .

وكنتيجة لسقوط الدولة الاشورية وعاصمتها نينوى في عام ٦١٢ ق.م بيد الدولة الجديدة « الدولة الكلدانية » ان امبراطورية بابل الثانية تشجعت مصر على توسيع حدودها باحتلال مناطق جديدة في بلاد الشام وكان من نتيجة هذا التوسع ان الدويلة العبرانية قد ترددت مابين سياسة الخضوع للدولة البابلية

في بلاد وادي الرافدين ومابين الدخول في حلف مع الدويلات السورية لمساعدة المصريين ضد الدولة البابلية ، وكانت النتيجة هي التحالف مع مصر بمساعدة الفرعون المصري نيخو فبدأت بتحدي سياسة الملك البابلي نبوخذنصر وكانت النتيجة ان ارسلت بابل جيشاً يقوده الملك البابلي بنفسه ليحطم بذلك هذه الدويلة مع بقية الدويلات الاخرى وليجعل من بلاد الشام كلها ولاية تابعة إلى الامبراطورية البابلية إلى ان سقطت بابل على يد الفرس الاخمينيين في عام ٥٣٨ قبل الميلاد واصبحت بلاد الشام ولاية تابعة للاخمينيين ومن ثم لليونان والرومان إلى ان حررها العرب في خلافة الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه فاعاد إلى بلاد الشام وجهها العربي ....